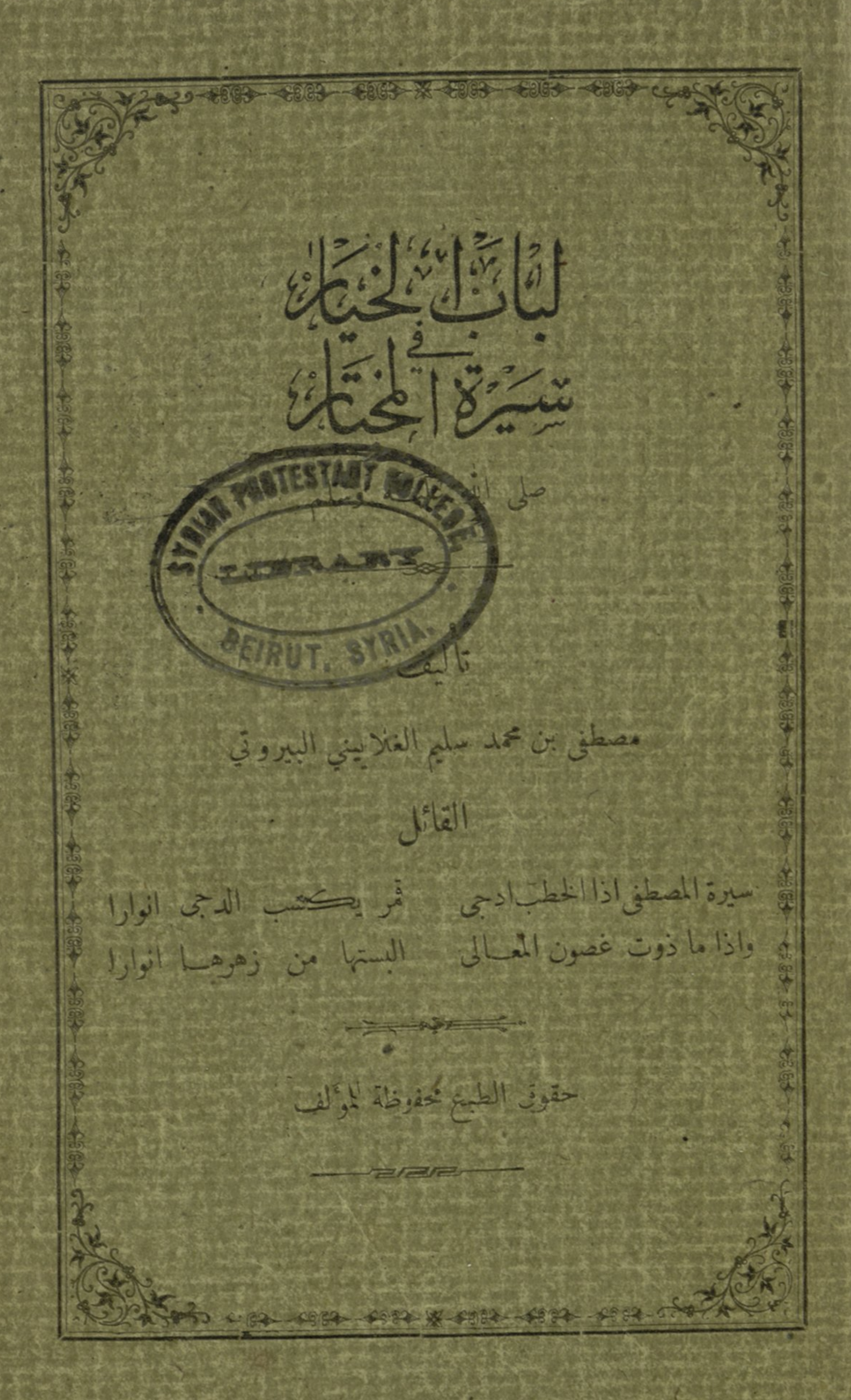


لباب الخيار في سيرة المختار

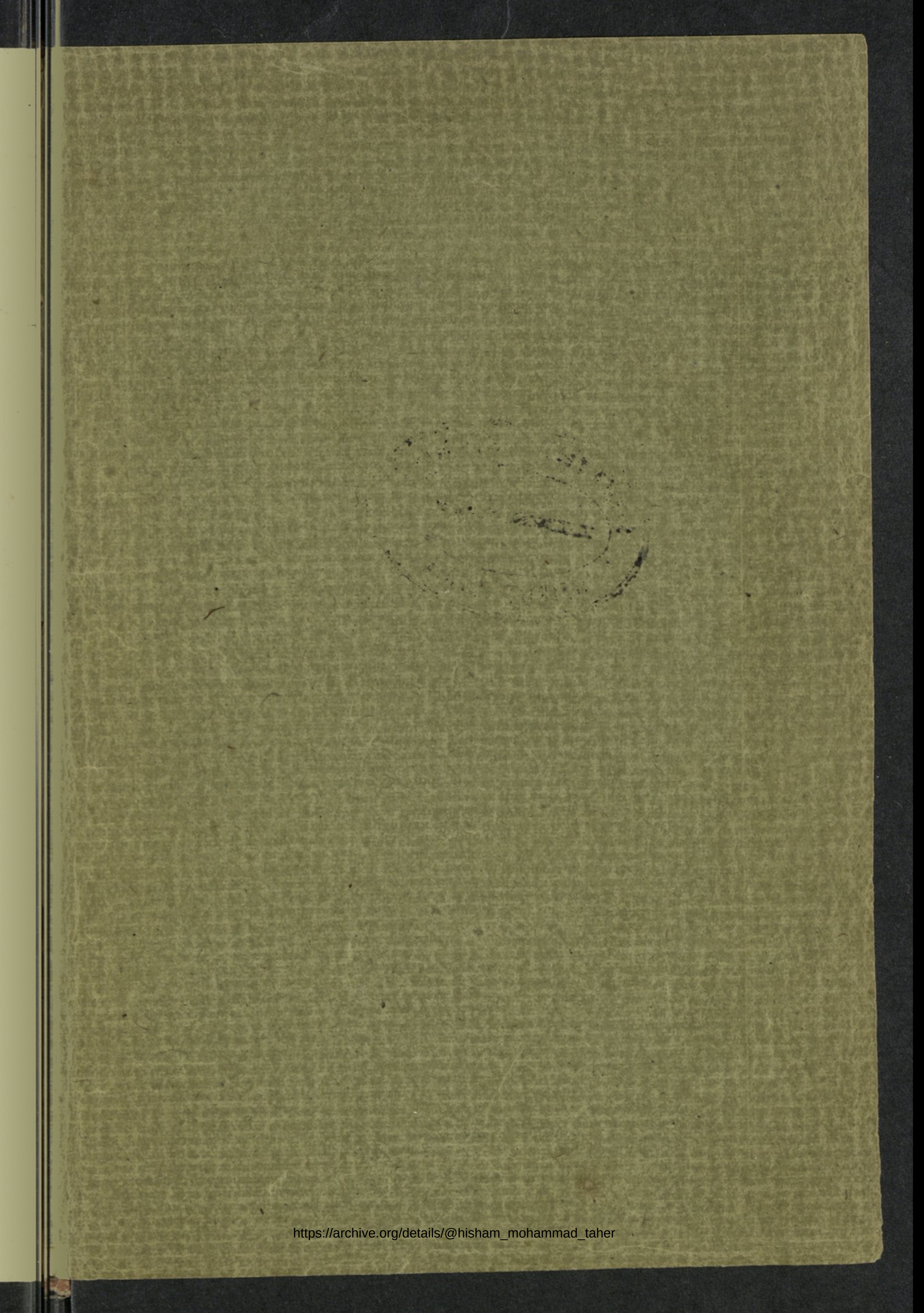
صلى الله عليه وسلم

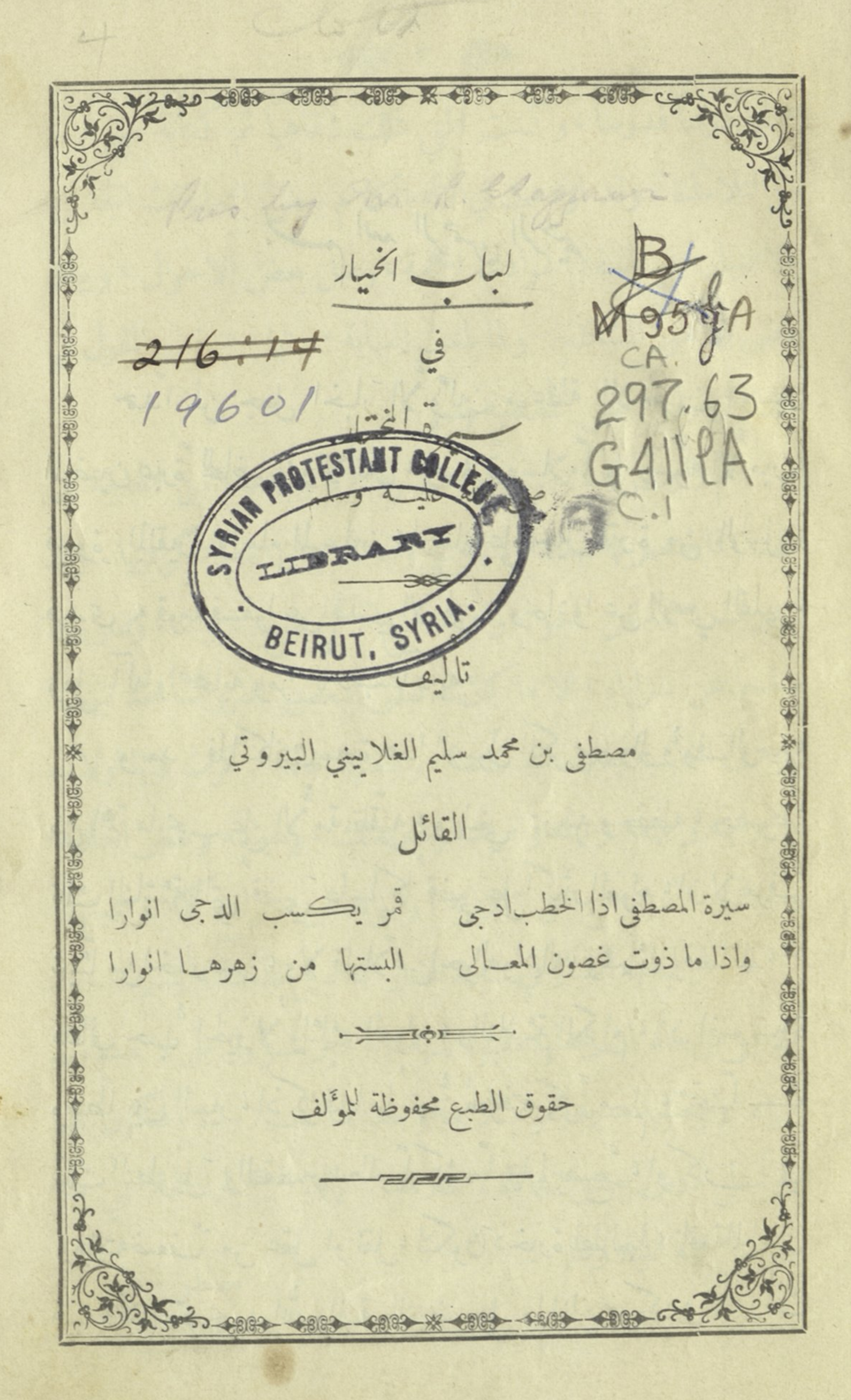
تأليف

مصطفى بن محمد سليم الغلاييني البيروتي

القائل

سيرة المصطفى اذا الخطب ادجى   قمر يكسب الدجى انوارا
واذا ما ذوت غصون المعالي   البستها من زهرها انوارا





لباب الخيار

في

سيرة المختار

صلى الله عليه وسلم

تاليف

مصطفى بن محمد سليم الغلاييني البيروتي

القائل

سيرة المصطفى اذا الخطب ادجى   قمر يكسب الدجى انوارا
واذا ما ذوت غصون المعالى   البستها من زهرها انوارا

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل اخبارَ الأوّلين موعظة للآخرين، وسيرَ الماضين عبرةً للحاضرين والآتين، وصلاةً وسلاماً على رسوله الأمين، قدوةِ المتقين وإمام المرسلين، ارسله على حين فترةٍ من الرسل، فهدى به قوماً فسقوا عن الهدي الالهيّ، وحادوا عن الوحي القلبيّ، وعلى آله واصحابه ومن تأدب بآدابه.

وبعد: فلما كانت سيرة هذا الرسول الكريم، والرؤوف الرحيم، من اهمّ ما يجب على الأمة تلقّيه، وينبغي درسه وحفظه، خصوصاً تلك الناشئة التي قضيَ عليها كما قُضيَ على اكثر العوام، ان لا تعرفَ شيئاً من اخبار نبيها، ولا قليلاً من احواله واعماله، وشمائله وفضائله، — دعاني حبُّ الخير لأولئك العوام، والناشئة الكرام، انَ اضع سيرة وسطاً بين السير، اذكر فيها ما تُهمُّ معرفته كلَّ مسلم، متجنباً في ذلك التطويلَ والتقصير، طاوياً كشحاً عما لم يصحّ، او كان في روايته ضعفٌ من عقل او نقل، لتكونَ ذخيرة لطالبها، نافعة للراغب فيها، فجاءت بحمد الله وافية بالغرض على ما اظن. وكنتُ ابتدأتُ

بعملها درساً فدرساً ، وكنت أُلقي ذلك شفاهياً ثم كتابة على قسم من التلامذة ، وقد أودعت في اثناء الكلام بعضَ التعليقات الجديرة بالاعتبار ، في فلسفة الحوادث المهمة ، وعلل بعض الاحوال ، وبيان بعض الأمور المشكلة . ولما بلغت النهاية سميتها : « خيار المقول في سيرة الرسول » صلى الله عليه وسلم

ثم رأيتُ بعد ذلك ان اختصرها ، لما وجدت من الحاجة الى ذلك ، فاختصرتها بهذه الرسالة على وجه الايجاز ، ولم اذكر فيها سوى شذرات مهمة من احواله واعماله ، مع ذكر جميع غزواته ، وضربت صفحاً عن سراياه ، الا ما كان له تعلق ببعض الغزوات فقد نبهتُ عليه فى الحاشية بعلامات خاصة . واتبعتها بخاتمة ذكرت فيها اولاده وازواجه واعمامه وعماته وافراسه وغير ذلك ، وهيئتَه وبعضَ اخلاقه ومعيشته ، ثم بنموذج من معجزاته ، وشيءٍ من جوامع كلمه وسميتها :

﴿ لباب الخيار في سيرة المختار ﴾ صلى الله عليه وسلم

فارجو من الله ان يجعلها مقبولة لديه ، انه خير مسؤول بل لا مسؤول سواه . وجعلتها هدية لعوام الأُمة واحداث التلامذة ، لتكونَ لهم عوناً على درس بعض شمائله واخلاقه واعماله العظيمة المهمة التي جاءَ بها صلى الله عليه وسلم

مصطفى سليم
الغلاييني

بيروت

تمهيد

اعلم اَنَّ الله خلق الخلق ولم يتركهم سدًى يميلون مع اهوائهم كيف شاءَت ، بل ربطهم بنظام الحكمة ورابطة النبوة ، فكان يُرسل لكل قوم رسولاً يرشدهم وهادياً يعظهم . وكانت الاُمة العربية مقتفية شريعة ابرهيم عليه السلام ، ولكن لما طال العهد بها غيروها وبدَّلوها ، واخترعوا اشياءَ اضافوها اليها كما زينته لهم عقولهمُ السقيمة ، فصاروا اُمةً وثنيةً بعد ان كانت موحِّدة ، وكثرَ فيهم الفجور والفسقُ والقتل والخروجُ عن دائرة المدنية والدين ، فلما استحكم الجهلُ فيهم وضرب اطنابه في قلوبهم ، — كان من رحمة الله بهم اَن اَرسل اليهم رسولاً من انفسهم وهو محمد بن عبد الله النبيّ الاُميّ ، ليرشدهم الى الصراط المستقيم والسبيل الواضحة واَنزل عليه القرآن الحكيم واَيده بقوَّته وسلطانه ، فهدى الناس بعد ما ضلوا وعلمهم بعد ما جهلوا فحسنتْ احوالهم واستقامت افكارهم وقد قاسى من اجل ذلك الشدائد وتحمل من المشقات والمتاعب في سبيل الدعوة والنصيحة والهداية ما لا تقدرُ عليه الجبالُ الراسيات والاعلامُ الشامخات . ولكن بالنظر لما عُهدَ فيه عليه السلامُ من القوَّة والنشاط والثبات

امام العقبات والمثابرة على الاعمال التي يكونُ منها النجاح — قام بالدعوة خير قيام ونهض نهوضاً لم يُعهد مثلُه في سائر رسل الله الكرام صلوات الله عليهم اجمعين .

كيف قام الدين

مما يجدُرُ بالذكر امرٌ لا بدَّ منَ التنبيه عليه وهو مسئلةُ « هل قامَ الدينُ بالدعوة ام بالسيف » فقد رُكزَ في بعض الاذهان انه لم يقم الاَّ بالسيف ولكنَّ الامرَ بعكس ما يظنون لاَنَّ الدين امرٌ وجدانيٌّ يُساق اليه الانسانُ بحادي العقل عند الدعوة اليه فتذعنُ له النفس ، فان أُجبرَ الانسان على ذلك فكيف يكون عنده هذا الاذعان .

والحقُّ الذي لا محيدَ عنه اَن الدين انما قامَ بالدعوة والدعوة حياةُ الاديان . ومن يرجع الى نصوص القرآن المجيد وما صحَّ من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم يتضح له الامر وتتجلى له الحقيقة : هل كان الرسول يُعملُ السيفَ في رقاب العرب عند ما كانت تُؤْذيه في مكة وتعمل معه من ضروب الاعمال المنكرة ، ما لو نزل بالجبال لدُكَّتْ او بالبحار لجفَّتْ ، — هل اَجبرَ الانصارَ اهل المدينة على

اعتناق الدين ام دعاهم فاتوه مذعنين ، ثم هاجر اليهم هرباً من كفار مكة لما هموا بقتله · هل هل · · · · كلا والله كل ذلك لم يكن · والرسول انما قاتلهم دفاعاً عن نفسه وعن المسلمين ، ومقابلةً لاعتدائهم وحمايةً للدعوة عند المعارضة ليس الاّ · يدلك على ذلك عدم قتاله الاّ من قاتله او اعتدى على المسلمين ، فهل مثل ذلك يُعدّ خطأً في شرعة العدلِ والانصافِ ، وهل يُقال انّ الدين لأجل ذلك قام بالسيف · · · كلا · ولهذا احببت أن أذكر عند كل غزوة السببَ الذي دعا المسلمين اليها · وقد فصلتُ هذا المقام مقام كيفية قيام الدين وانه بالدعوة لا السيف في خيار المقول وفي مقالة كتبتها في موضوع القرآن ، فليرجع لذلك من شاء والله الموفق



نسب النبي صلى الله عليه وسلم

هو ابو القاسم محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب بنِ هاشم ابنِ عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مُرَّةَ بن كعب بنِ لُؤَيّ ابنِ غالب بن فِهرِ بنِ مالك بن النضرِ بن كنانةَ بنِ خُزَيمةَ بن مُدركةَ ابنِ الياسَ بنِ مُضرَ بن نزارِ بن مُعدّ بن عدنان .

هذا هو النسبُ المتفق على صحته من علماء الحديث والتاريخ ، اَما النسب فوق ذلك فلا يصحّ فيه طريق . وغايةُ الامر انهم اَجمعوا على اَنَّ نسب الرسول ينتهي الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام

فهذا نسبه من جهة ابيه . واما نسبه من جهة اُمه فهو صلى الله عليه وسلم ، محمدُ بنُ آمنةَ بنتِ وهب بن عبد منافِ بن زُهرةَ ابن كلاب فتجتمع معه عليه السلام في جده كلاب

وادوار حياته صلى الله عليه وسلم ثلاثةٌ : من ولادته الى النبوَّة ومن النبوَّة الى الهجرة ومن الهجرة الى وفاته .

الدور الاول من حياته

وُلد الرسول يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الاول عام الفيل (١) بعد وفاة والده الذي لم يترك له من المال الا خمس جمال وبعض نعاج وجارية ، ويروى اقلُّ من ذلك . وارضعته حليمةُ السعدية . وفي السنة السادسة من عمره اخرجته أُمه الى اخواله بالمدينة فتوفّيت بالابواء (٢) ، فحضنته أُمُّ ايمنَ وكفله جدُّه عبد المطلب ، وبعد سنتين من كفالته توفي جده ، فكفله عمه ابو طالب « وكان شهماً كريماً غير انه كان من الفقر بحيث لا يملك كفاف اهله » . وفي السنة التاسعة سافر الى الشام السفرةَ الأُولى مع عمه ابي طالب وقد اجتمع رجال القافلة وهم بقرب بُصرى بالراهب بَحيرَى فاَخبرهم عن ظهور نبيّ من العرب في هذا الزمان ، كما عرف ذلك في كتبهم المقدسة ، فقالوا

(١) اي في السنة التي جاء فيها الفيل الى مكة ، وذلك ان ملكاً من ملوك الحبشة جهز جيشاً على مكة ليهدم الكعبة وكان في ذلك الجيش فيل عظيم ، لكن رمى الله كيده في نحره ، وجعل كيده في تضليل ، وارسل عليهم طيراً ابابيل ، « اى فرقاً وجماعات » ترميهم بحجارة منْ سجيل « اي طين متحجر » فجعلهم كعصف مأكول « اي كورق زرع اكلته الدواب او الدود ، اي اهلكهم وابادهم . ويوافق مولده عليه السلام ٢٠ نيسان « ابريل » سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام (٢) قرية بين مكة والمدينة وهي الى المدينة اقرب

انه الى الآن لم يظهر . وفي سنة عشرين حضر حرب الفجار . وهي حربٌ كانت بين قريشَ وحلفائها و بين قيسَ وحلفائها في موضع بين مكة والطائف يُسمى « نخلة » وكادت الدائرة تدور على قيس لولا ان حصل الصلح بينهما .

وفي سنة خمس وعشرين سافر الى الشام المرةَ الثانيةَ بتجارة لخديجةَ بنتِ خُويلد مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحا ربحاً جسيما . وفيها تزوج بخديجة بعد رجوعه من الشام بشهرين . وفي سنه خمس وثلاثين شهد بناء الكعبة وعمل فيها ، ورضيت قريش بحكمه عند اختلافهم فيمن يضع الحجر الاسود حتى كادوا يقتتلون لذلك ، ففصل هذا المشكل العظيم الرسولُ الاعظم ، فانه بسط رداءه وقال لتأخذ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوب . ثم وَضعَ الحجر فيه وامرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه ، فاخذه الرسول ووضعه فيه

شذرة من معيشته قبل النبوة

ربيَ عليه السلام يتيماً « لم يقم على تربيته مهذّب ، ولم يُعنَ[1] به مؤدّب ، بين اتراب[2] من نبت الجاهلية ، وعُشراءَ من حلفاء

(١) اي لم يعتنِ (٢) اى ناشئة مماثلين له في سنه ، والمراد بالنبت الابناء

الوثنية ، واولياءَ من عبدة الاوهام واقرباءَ من حفدة[١] الاصنام ، غير انه مع ذلك كان ينمو ويتكامل بدنًا وعقلاً وفضيلةً وادبًا ، حتى عُرف بين اهل مكة وهو في ريعان[٢] شبابه بالامين ، ادبٌ الهيٌّ لم تجرِ العادةُ بان تُزَين به نفوس الايتام من الفقراء ، خصوصاً مع فقر القوَّام ، فاكتهل[٣] صلى الله عليه وسلم كاملاً والناس ناقصون ، رفيعاً والناس منحطّون موحدًا وهم وثنيون سِلماً[٤] وهم شاغبون[٥] صحيح الاعتقاد وهم واهمون مطبوعاً على الخير وهم به جاهلون وعن سبيله عادلون[٦] »

ربيَ بين قوم قد اعتادوا الفجورَ والفسق وسفك الدماء وغير ذلك من قبائح الاشياء ، ومع ذلك كان لا يميلُ الى ما يميلون ولا يعبد ما يعبدون ولا يفعل ما يفعلون ، فكان عليه السلام احسنهم اخلاقاً واصدقهم حديثاً واعظمهم امانةً وقد حفظه الله منذ صغره من كل اعمال الجاهلية التي جاء شرعه الشريف بضدّها . وفي الجملة فقد خُلق مفطوراً على محاسن الافعال مطبوعاً على جياد الاعمال بعيداً عن كل وصفٍ ذميم قصياً[٧] عن اي نعت دميم[٨]

---

(١) الحفدة الخدم والاعوان (٢) اى اول (٣) اى جاوز الثلاثين من عمره (٤) اى مسالماً (٥) مهيجون للشرور (٦) نقلت هذه الشذرة من اولها الى هنا من رسالة التوحيد وقد وضعتها بين قوسين (٧) بعيداً (٨) اي قبيح

نشأ عليه الصلاة والسلام ولم يكن عنـده ما يستعين به على الاستغناء عن الكسب فلذلك لمّا بلغ مبلغاً يمكنه أن يعمل عملاً كان يرعى الغنم مع اخوته من الرّضاع في البادية. وكذلك لما رجع الى مكة كان يرعاها لأهلها على قراريط[١]. على انه لو اراد المال وكثرته وادّخاره لكان له ذلك، خصوصاً بعد ان أستأجرته خديجة واختارته ان يكون زوجها «وكان فيما يجتنيه[٢] من ثمرة عمله غناء[٣] له وعون[٤] على بلوغه ما كان عليه اعاظم قومه، لكنه لم ترقه[٥] الدنيا ولم تغرّه زخارفها ولم يسلك ما كان يسلكه مثله في الوصول لى ما ترغبه الانفس من نعيمها، بل كلما تقدّم به السنّ زادت فيه الرغبة عما كان عليه الكافة، ونما[٦] فيه حبّ الانفراد والانقطاع الى الفكر والمراقبة[٧] والتحنث[٨] بمناجاة الله تعالى والتوسل اليه في طلب المخرج من همه الاعظم في تخليص قومه، ونجاة العالم من الشر الذي تولاه[٩]» وثابر على ذلك مدة من الزمن

(١) واحدها قيراط وهو نصف دانق والدانق سدس الدرهم (٢) اي يكسبه (٣) اي فائدة (٤) اي اعانة (٥) اي لم تعجبه (٦) اي زاد (٧) الخشية والخوف من الله (٨) التعبد (٩) وهذه العبارة الموضوعة بين قوسين منقولة ايضاً عن رسالة التوحيد

الدور الثاني من حياته

ويبتدأ من زمن النبوة الى وفاته

ولما بلغ عمره عليه السلام اربعين سنة «انفتق له الحجاب عن عالمٍ كان يحثه اليه الالهام الالهي ، وتجلى عليه النور القدسي وهبط له الوحي من المقام العلي » واختاره الله لرسالته وانزل عليه الروح الامين وهو في غار حراء[1] ليعلمه كيف يهدي قومه والناس اجمعين . فصدع بما أُمِرَ وبلَّغ ما انزل اليه من ربه . وكانت الدعوة سرًّا ، فكان اول من آمن من الرجال ابا بكر بن ابي قحافة[2] ، ومن النساء زوجه خديجة ، ومن الصبيان عليّ بن ابي طالب ولم يسجد لصنمٍ قطُّ ولهذا يُقال كرَّم الله وجهه . وقد اجاب الدعوة كثيرٌ من الاشراف والموالي كعثمان بن عفان والزُّبير بن العوَّام وعبد الرحمن بن عوف وصهيب الرومي وعمار بن ياسر العبسي وعبد الله بن مسعود وابي ذرّ الغفاري وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عمّ الرسول وعثمان بن مظعون وكثير غيرهم

هذا ولم يكن مع الرسول سيفٌ يضرِبُ به اعناقهم حتى يُطيعوه

«١» حراء هو جبل بمكة فيه الغار الذي اعده الرسول لعبادة الله والاعتزال عن الناس اول امره «٢» اسم ابي قحافة عثمان

صاغرين وليس معه ما يُرَغِّبُ فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم ولا يعبأوا بما عندهم من الثروة الوافرة ويتبعوا هذا الرسول ويتحمَّلوا اهانةَ اهليهم وتعذيبهم لهم، حتى انَّ الكثيرَ منهم كان واسع الثروة اكثرَ منه عليه السلام، كأَبي بكر وعثمان وخالد بن سعيدٍ وغيرهم. والذين اتبعوه من الموالي اختاروا الاذى والجوعَ والمشقات ولم يرجعوا الى دين آبائهم وساداتهم ولو اتبعوا ساداتهم لكانوا في هذه الدنيا اهنأ بالاً وانعمَ عيشة. ولكنَّ الدينَ الحقَّ ما حلَّ في قلب ولا سطع على عقل الا وفضَّله على كل ما سواه.

وكانت الدعوةُ سرًّا حذرًا من مفاجئة الناس بأَمرٍ غريب ثمَّ امره الله بالجهر بقوله تعالى: «فاصدعْ بما تؤمر واعرض عن المشركين» فلبىَّ داعيَ الله وخاض[1] غمرات[2] الدعوة وسلك مفاوز[3] النصيحة واقتحم ميدانَ الارشاد ودعا الناسَ الى الله تعالى وعبادته وحده وان يتركوا ما كان عليه آباؤهم من الشرك والكفر وعبادة الاوثان ودعاء الاصنام وامرهم بترك المنكرات وهجر المحرمات فمنهم من هدى ومنهم مَن حقَّتْ عليه الضلالة ولاقى من اجل ذلك اذىً عظيماً من قومه كالرمي بالحجارة ورمي القذر على بابه وعزمهم على خنقه وقتله. الى غير ذلك مما يحمرُّ له وجه

(١) اي اقتحم (٢) اي شدائد (٣) جمع مفازة وهي المهالك

الانسانية خجلاً . وكان يشتدُّ اذاهم له اذا ذهب الى الصلاة عند البيت وقد استمرُّوا على اذاه واستمرَّ على الصبر الى ان صرع الحقُّ الباطلَ «ان الباطل كان زهوقا»

وفي السنة الخامسة من النبوَّة امر الرسول اصحابه بالهجرة الى الحبشة وذلك ان الاذى لم يكن قاصرًا على الرسول بل تناول اصحابه لاتّباعهم له . خصوصاً من ليس له عشيرة تحميه او قبيلة تردُّ عنه كيد اعدائه . فهاجر ناسٌ منهم فرارًا بدينهم وهي اول هجرة من مكة وعدة اصحابها عشرةُ رجال وخمس نسوة ثم رجعوا بعد ثلاثة اشهر . وفي ذلك الوقت اسلم حمزةُ عمُّ الرسول وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . وكان الاسلام اذ ذاك بضعةً واربعين رجلاً واحدى عشرة امرأة .

وفي السنة السابعة كان دخول النبيّ الشّعب مع ابي طالب وبني هاشمٍ والمطلبِ مسلمهم وكافرهم ما عدا ابا لهب . وذلك عند ما همّت قريش بقتله لمَّا رأوه انَّ امره في الازدياد وان الاسلام قد فشا وانتشر في القبائل . فلما علمت قريشُ بدخولهم الشعبَ اجمعوا على منابذتهم وأن لا يقبلوا لهم صلحاً ابدًا وقطعوا عنهم الاسواق ومنعوهم الرزقَ الاَّ ان يسلموا محمدًا للقتل . وكتبوا بذلك صحيفة تتضمن التضييق عليهم في كل شيء وعلَّقوها في جوف الكعبة .

وبعد دخول الرسول شعب ابي طالب أمرَ اصحابهُ بالهجرة الى

الحبشة وهي الهجرة الثانية وعدة اصحابها نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة · وتوجه اليهم الذين اسلموا من جهة اليمن وهم الاشعريون ابو موسى وقومه ·

وفي السنة العاشرة قام رجالٌ من قريشَ بنقض الصحيفة فخرج الرسول ومن معه بعد اَن مكثوا في الشعب قريباً من ثلاث سنوات في شدة الجهد والجوع لا يصل اليهم شيءٌ الاَّ سرًّا حتى انهم اكلوا اوراق الشجر · وكان الرسول قد اخبر ان الارضة (١) اكلت ما فيها من الكتابة الا اسماء الله · فلما انزلوها ليمزّقوها وجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم · ومع ذلك فلم يزدهم ذلك الا بغياً وعتوًّا ·

وفيها وفد عليه وفدٌ من نصارى نجران فاسلموا · وفيها تُوفيتْ خديجة زوج الرسول وبعد وفاتها بنحو شهرين تُوفي عمه ابو طالب وله من العمر سبعٌ وثمانون سنة · وكان يدرأُ عنه الاعداء ويدفع عنه الأَلدَّاء ويمنعه ممن يريد اذاه · ومع انه كان يصدّق الرسول فيما جاء به ويعتقد صدقه بكل ما اخبر لم ينطق بالشهادتين حتى آخر لحظة من حياته خوفاً من تعيير قومه له · ولما حضرته الوفاة جمعَ وجوه قريشَ واشرافهم واوصاهم بالنبيّ خيراً وان يكونوا من

(١) الارضة هي دويبة تأكل الخشب والورق يقال أُرضت الخشبة بالمجهول تُؤرض ارضاً بسكون الراء فهي مأروضة اذا اكلتها الارضة

انصاره واعوانه . ومن جملة ما قاله : « وقد جاءَكم بأمرٍ قبلَهُ الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن [١] »

وبعد وفاته نالت قريش من الرسول ما لم تقدر على نواله في حياة ابي طالب واشتد اذاهم له وتعصبهم عليه .

فلما رآى ذلك هاجر الى الطائف فانَّ فيه بني ثقيف ليعينوه على قومه ويساعدوه حتى يُتمّمَ امرَ ربه وكان معه زيد بن حارثة ، فاقام بالطائف شهراً يدعوهم الى الله تعالى فلم يُجيبوا بل ردُّوا عليه ردًّا قبيحاً واغرَوْا به سفهاءَهم وعبيدهم يسبونه ورموْا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبتْ نعلاه بالدماء . وكان مولاه زيدٌ يقيه بنفسه حتى لقد أُصيب في رأسه بجراحات . فلما لم ينلْ منهم خيرًا رجع الى مكة ودخلها في جوار المطعم بن عديّ .

وفي السنة الحادية عشرة اكرمه الله بالاسراء والمعراج . اما الاسراء فهو توجهه ليلاً من المسجد الحرام [٢] الى المسجد الاقصى [٣] في بيت المقدس ورجوعه من ليلته . واما المعراج فهو صعوده الى العالم العلويّ وفيه فرضت الصلوات الخمس

---

(١) اي البغض اي انكرنا رسالته بالسنتنا مخافة ان نبغض الى قومنا ونعير بذلك (٢) هو مسجد مكة (٣) هو مسجد القدس

بدء انتشار الدين الاسلامي

لما رأى الرسول أنَّ قريشَ لم تمكّنه من تأدية الرسالة — كان يخرج في مواسم العرب ويعرضُ نفسه على القبائل ، فكان منهم من يردُّ ردًّا قبيحاً ، ومنهم من يردُّ ردًّا حسناً ، ومن اقبحهم ردًّا بنو حنيفة رهط مُسيلمة الكذاب

وممن عرض نفسه عليهم نفرٌ من عرب يثربَ[١] من الاوس ، فلما كلمهم النبيُّ عرفوا وصفه الذي كانت تصفهُ به اليهود ، فقالوا فيما بينهم : والله انه النبيُّ الذي تُواعدنا به اليهود فلا تسبقنا اليه ، فآمن منهم ستة كانوا سببَ انتشار الاسلام في المدينة ، ومنهم اسعد بن زرارة . ثم انصرفوا بعد ان وعدوه بالمقابلة في الموسم المقبل . فلما كان العام القابل لقيهُ اثنا عشرَ رجلاً ، منهم عشرة من الاوس واثنان من الخزرج ، وفيهم خمسة من الستة الأُولى ، فآمنوا عند العقبة وبايعوه على ما احب ، وهي العقبة الأُولى . ثم انصرفوا الى المدينة فاظهر الله فيها الاسلام ولم تبقَ دارٌ من دُور المدينة الاَّ وفيها ذكر الرسول . ولما كان العام الآتي سنة ثلاث عشرة للنبوَّة — وفد[٢] على الرسول منهم سبعون رجلاً وامرأتان فاسلموا وبايعوه عند العقبة وهي العقبة الثانية . ثم انصرفوا الى المدينة فانتشر الاسلام فيها بين اهلها رضي الله عنهم .

(١) هي المدينة (٢) ورد

الدور الثالث من حياته

ويبتدأ من زمن الهجرة الى وفاته[١]

ثم ان الرسول امر جميعَ المسلمين بالهجرة الى المدينة لازدياد الاذى عليهم، فصاروا يتسللون[٢] خوفاً من ان تمنعهم قريش ولم يبقَ في مكة الا القليل . اما قريش فلما رأوا ذلك اجمعوا على قتل الرسول وجمعوا من كل قبيلة شاباً حتى يتفرَّق دمه في القبائل . فاعلم الله نبيه بما دبره الاعداء من الكيد ، وامره باللحاق بدار هجرته التي بنتشر فيها الاسلام . فتواعد هو وابو بكر على السفر واعطيا دليلاً[٣] ماهراً راحلتين وأمراه ان يجيء بهما بعد ثلاث ليال الى غار ثور[٤] ، وكانت ليلةُ خروج الرسول من مكة هي الليلةَ التي اعدَّها المشركون لاغتيال الرسول ، فالتفَّ الشبانُ حول داره ، فخرج الرسول وقد القى الله النوم عليهم فلم يرَه منهم احد ، وخلف مكانه ابن عمه عليَّ بن ابي طالب ليؤدِّي ودائع للناس كانت عنده . ثم سار حتى اجتمع بابي بكر

---

(١) تنبيه : ذكر خطأً في صحيفة ١٢ ان الدور الثاني ينتهي الى وفاته والصواب انه ينتهي الى الهجرة فليصحح (٢) اي يخرجون واحداً بعد واحد (٣) واسم هذا الدليل بديل بن ورقاء (٤) ثور جبل بمكة فيه الغار وهو الغار المذكور في القرآن

فأسرعا حتى وصلا الى غار ثور . وكان سنّه اذ ذاك عليه الصلاة والسلام ثلاثاً وخمسين سنة . فلما علم المشركون بفساد مكرهم هاجوا لذلك ، فارسلوا الطلاَّب من جهة وجعلوا لمن يأتي به او يدلّ عليه مائة ناقة وقد وصلوا في طلبهم الى الغار فأعمى الله ابصارهم عنهما . وبعد ثلاث ليالٍ جاءهما الدليل بالراحلتين فساروا قاصدين المدينة فوصلوا الى قباءَ يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول . وكان التاريخ من ذلك ثم رُدَّ الى المحرَّم . ثم خرج الرسول من قباءَ بعد ان اقام فيها اثنين وعشرين ليلة فدخل المدينة .

السنة الاولى من الهجرة

فيها بنى مسجده الشريف ، وقد عمل فيه الرسول بنفسه ترغيباً للمسلمين في العمل . وفيها شُرع الأذان لتجتمعَ الناس متى حان[١] وقت الصلاة .

ولما رأَت اليهود انَّ قدمَ الاسلام قد رسخت في المدينة — هاجتهم[٢] العداوةُ والحسد فتحزَّبوا على المسلمين ، وقد كانوا من قبل يستفتحون[٣] على المشركين بنبي يُبعث قد قرُب زمانه وذلك اذا نشبت[٤] الحرب بين الفريقين ، ولكن اعمتهم الرآسة فاستعظموا الامر ، وكان

(١) اي قرب (٢) اثارتهم وهيجتهم (٣) اي يستنصرون (٤) علقت

يساعدهم على عملهم هذا جماعة منافقون من عرب المدينة يرأسهم عبد الله بن ابيّ بن ابي سلول الخزرجي · ثم عقد الرسول مع اليهود عقداً على ان يتركوا اذاه ويترك محاربتهم ·

مشروعية القتال

علمتَ انَّ الرسول لم يكن معه سيف يضرب به اعناقَ الناس لاِكراههم على الدين ، بل كان الامر قاصراً على الدعوة والتبشير ، فعارضه مَنْ عارضه، وآذاه من آذاه بغياً وحسداً وطمعاً في الرآسة · ومع ذلك كان الرسولُ ومَن آمن معه صابرين على ذلك الاذى والضيم ، الى ان فرَّج الله عنهم بالهجرة وشدَّ ازرهم ، واَباح لهم ان يأخذوا بثارهم من اعدائهم قريش · وكان الامر قاصراً عليهم ، لكن لما انحاز الى قريشَ غيرهم من العرب ، وجاهروا المسلمين بالعداوة وساعدو قريشَ — قاتلهم المسلمون · وكذا لما جاهرت اليهود بالعدوان وارادوا حرب المسلمين — قاتلهم المسلمون · ثم صار الامر بالجهاد عاماً لكلّ من اراد المسلمين بسوء · وبهذا تعلم صحة ما اثبتناه في اول الرسالة من اَنَّ الدين لم يقم بالسيف وانما قام بالدعوة ، والسيف انما شرع لحمايتها ودفع المعارضين لها

بدء القتال

ولما أُذنَ للرسول بقتال اعدائه — كان اول ما بدأهم به انه ارسل سريةً[1] برآسة عمه حمزةَ لاعتراض عيرٍ[2] لهم قادمةٍ من الشام ولم يكنْ حرب . ثمَّ سريةً برآسةِ عبيدةَ بن الحارث بن عبد المطلب لاعتراضِ عيرهم فكان الرمي بالنبال الى انْ هرب المشركون

السنة الثانية

فيها غزوة ودَّان : خرج الرسول في ستين رجلاً معترضاً عيرَ قريش ولم يكن حربٌ لان العير كانت قدسبقته . *وفيها غزوة بُواط : خرج في مائتين من المهاجرين للعير ولم يلقَ كيداً . *وفيها غزوة العُشيرة : خرج اليها الرسول بمائةٍ وخمسينَ من المهاجرين لاعتراض عيرٍ عظيمة لقريشَ يرأسها ابو سفيان وكانت قاصدةً الشام، ولم يحصل حرب لفوات العير *وفيها غزوة بدر الاولى وتسمى غزوة سَفوان ايضاً : خرج اليها الرسول في طلب كُرز بن جابر الفهري لأنه اغار على سَرْحٍ[3]

(١) المراد من السرية كل غزاة لم يكن فيها رسول الله . والمراد بالغزوة ما كان فيها الرسول (٢) العير الجمال التي تحمل الطعام وغيره وكان معها ثلاثمائة رجل يرأسهم ابو جهل . وقصد الرسول من اخذ العير ان تضعف قوة قريش المالية فلا يستطيعون الثبات في المحاربة لانهم كانوا بلا شك يقصدون قتاله انتصاراً لآلهتهم (٣) السرح المال الراعي كالغنم ونحوها

المدينة وهرب ، ولم يكن قتال لفرار كرز . * وفيها ارسل سريةً برآسة عبد الله بن جحشٍ لاعتراض عيرِ قريشَ القادمةِ من الشام ، فاصابوها ورجعوا ، وهي اول غنيمة في الاسلام

* وفيها تحوَّلت القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة بعد ان مكث المسلمون يتوجهون الى بيت المقدس ستة عشر شهراً * وفيها فُرض صومُ رمضان ، وكانوا قبل ذلك يصومون ثلاثةَ ايام من كلّ شهر . وفيها فُرضت زكاةُ الفطر عَقِب صوم رمضان * وفيها فُرضت ايضاً على الاغنياء زكاةُ المال التي هي النظام الوحيد ، والسببُ الاقوى لدفع غائلة الفقر والاعدام عن الامة إِن هي صُرفتْ بحقّها على مستحقيها[١] .

غزوة بدر الكبرى

وفي هذه السنة وقعتْ غزوة بُدر[٢] الكبرى : وذلك اَنَّ الرسول خرج ومعه ٣١٣ ثلاثمائةٍ وثلاثة عشرَ رجلاً[٣] ليعترضَ عير قريشِ العظيمةَ وهي راجعة من الشام « وهي التي قدمنا في غزوة العشيرة انها

(١) فصلنا هذا الموضوع بعض التفصيل في خيار المقول في سيرة الرسول . وفي مقالة نشرت في العدد ٣٦ الصادر في ٢٥ رمضان المبارك من سنة جريدة الاقبال الثانية فليرجع اليه من شاء (٢) هي اسم بئر وكانت الواقعة قريباً منها (٣) مائتان واربعون من الانصار والباقون من المهاجرين ولم تكن الانصار تخرج معه قبل هذه المرة .

فاتته ولم يصادفها » فلما علمتْ قريشُ بذلك جمعت الجموع وكانت عدّتهم الفَ رجل ، فعلم الرسول بهم فقصدهم بمن معه على قلتهم فالتقى الفريقان ببدر ، وكان يوماً من اشدّ الايام هولا ، وايد الله المسلمين بالملائكة تُقاتل معهم (١) فلم تكن الا ساعةٌ حتى دارت الدائرةُ على قريش ، فانهزموا تاركين في ساحة الحرب سبعين رجلاً قتيلاً وسبعين اسيرًا ، وغنم المسلمون غنائمَ عظيمة ، وكان هذا اليوم هو يوم الفرقان الذي اعزّ الله به الاسلام . وممن قُتل في هذه المعمعه من المشركين حنظلةُ بن ابي سُفيان ، وابو جهل بن هشام . وقُتل من المسلمين اثنا عشر رجلاً او اربعة عشر رجلاً . ثم رجعوا الى المدينة فرِحين مسرورين بهذه النصرة العظيمة .

اما الاسرى فافتدتهم قريش ، وكان الفداء من اربعة آلاف درهم الى الف درهم ، ومن لم يكن معه مال للفداء وهو يُحسن القراءة والكتابة — اعطوه عشرة من صبيان المدينة ليعلمهم وكان ذلك فداءه

وفي هذه السنة كانت غزوة قَرقَرة الكُدْر : خرج الرسولُ يريد بني سُليم ولم يكن حرب . *وفيها غزوة قينقاع وهم قوم من يهود المدينة ،

---

(١) ويُروى عن ابن عباس انّ الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر وفيما سواه كانت عُدداً ومَدداً .

نقضوا العهد وجاهروا بالعداوة فحذَّر الرسول رؤساءهم فاغلظوا له في الكلام ، فحاصرهم الرسول . فلما رأوا عجزهم سألوه ان يخلّي سبيلهم على انَّ له الاموالَ ولهم الذرية والنساء ، فقبل منهم وطردهم من المدينة فلحقوا باذرعات ، واخذ المسلمون من حصنهم سلاحاً وآلة كثيرة .

— وفيها غزوة السويق : خرج يريد ابا سفيان لخروجه لغزو المسلمين ، وكان مع النبي مائتا راكب ، ومع ابي سفيانَ مثلها ، ولم يكن قتال لهرب ابي سفيان ومن معه . وكان مع المشركين سويق (١) فألقوه وهم هاربون تخفيفاً لاثقالهم فغنمه المسلمون .

وفيها سنَّ الله صلاةَ العيد التي لاتخفى حكمتها على عاقل . وفيها تزوَّج عليٌّ بفاطمةَ رضي الله عنهما وكان عمره احدى وعشرين سنة وعمرها خمسة عشر سنة ، وكان منها عقِبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها دخل النبيُّ بعائشةَ بنتِ ابي بكر الصديق رضي الله عنهما .

السنة الثالثة

فيها غزوة غطفان : خرج الرسول يريد جمعاً من بني ثعلبةَ ومحاربٍ ارادوا الاغارة على المدينة ، ويرأسهم دعثور بن الحارث المحاربيّ ومعه اربعمائة وخمسون فارساً . فلما علموا بخروج الرسول هربوا متفرّقين في

---

(١) السويق هو الناعم من دقيق الحنطة والشعير

الجبال. وحدث في هذه الغزوة ان الرسول نزع ثوبه ليجففه من بلل كان اصابه واتكأ تحت شجرة، فجاءه دعثور يريد قتله غيلة. فلما همّ بذلك قال: مَن يمنعك مني يا محمد، فقال الرسول: الله تعالى، فاصاب الرجلَ هيبةٌ وخوف فسقط السيف من يده، فتناوله الرسول وقال: مَن يمنعك مني، فقال دعثور: لا احد، فعفا عنه الرسول فاسلم ودعا اصحابه للاسلام ولا عجب من اسلامه وقومه فان هذه هي نتيجة الحسنى والمعاملة اللينة.

* وفيها غزوة بُحران: سار الرسول ومعه ثلاثمائة ٣٠٠ من اصحابه الى بحران يريد بني سُليم لمّا بلغه انهم يريدون الاغارة على المدينة فوجدهم قد تفرّقوا ولم يلقَ حرباً.

غزوة أُحد

وفيها غزوة أُحد[1]: سارت قريش لحرب المسلمين اخذاً بثار من قُتل من اشرافهم يوم بدر، وكان عددهم مع من حالفهم من العرب ثلاثةَ آلاف رجل ٣٠٠٠ عدا الخيل والعدد الزائدة. فلما علم الرسول بذلك من كتاب ارسله اليه عمه العباس — خرج ومعه الف رجل ١٠٠٠

(١) أُحد هو جبل بالمدينة

ثم رجع عنهم عبدُ الله ابنُ ابيّ في ثلاثمائة من اصحابه المنافقين · ولما اصطفّ الجيشان للقتال امر الرسول الرُّماةَ وكانوا خمسين رامياً برآسة عبد الله بن جبير، وقال لهم لا تبرحوا من مكانكم انتصرنا او انكسرنا · ثم التقى الجمعان فكانت النصرة للمسلمين، ودارت الدائرة على قريش · فلما راى الرُّماة انتصارَ المسلمين تركوا مكانهم واشتغلوا بالسلب والنهب الا رئيسهم عبدَ الله وقليلاً معه، فلما راى خالد انَّ الجبل خالٍ من الرُّماة الذين كانوا حصناً للمسلمين من ورائهم — كرَّ بالخيل وتبعه عكرمة بن ابي جهل، فمالوا على عبد الله ومن بقي معه فقتلوهم، ثم انعطفوا على المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بالدنيا، فاعملوا فيهم السيف فاندهش المسلمون من هذا البلاء الذي صُبَّ عليهم، ودارتْ عليهم الدائرة بعد الانتصار حتى انهزم جماعة منهم · وثبتَ في ذلك الوقت الحرج مع الرسولِ جماعة من الصحابة، منهم ابو بكر وعمر وعلي، وقد اصابه عليه السلام شدائدُ كثيرة تحمَّلها بصبره وحزمه فقد شُجَّ وجهه وكسرتْ رباعيته بحجر وجرحتْ وجنتاه · وهمَّ بقتله عثمانُ بن عبد الله بن المغيرة فقتله الحارث بن الصّمة، وجاءه ابيٌّ بن خلف يريد قتله فرماه عليه السلام بحربة فقتله، ولم يقتل رسول الله غيره، وكذلك اصاب المسلمين الذين كانوا يدفعون عن الرسول جراحات كثيرة · وكان عدد من قُتل من المسلمين

سبعين ونيفاً[1] ، منهم ستة من المهاجرين والباقون من الانصار ٠ وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون ٠ وقد مثلت قريش بقتلى المسلمين تمثيلاً فظيعاً ٠ وممن قتل من المسلمين حمزة عم الرسول ، غافله وحشي غلام جبير بن مطعم بحربة كانت سبب هلاكه ، وكان جبير هو الذي ارسله لهذه الغاية اخذاً بثار عمه طعيمة الذي قتله حمزة يوم بدر

وهذا الانكسار يذكرنا لو نعلم بامرين مهمين : احدهما عدم مخالفة الرسول في جميع ما يأمر به لانه لا يأمر الا بما فيه الحكمة والسداد ، والثاني عدم الالتفات لامر الدنيا اذا كان فيها ما يضر بالدين ٠ وهذان الامران فقدا يوم احد ، اما الاول فلمخالفة الرماة امر الرسول ، واما الثاني فلترك المسلمين الجهاد والمدافعة وميلهم للسلب وعرض الحياة الدنيا ، ولذلك سلط الله عليهم هذا البلاء بعد انتصارهم على الاعداء

وفيها غزوة حمراء الاسد : خرج اليها الرسول صبيحة يوم احد يريد قريش خوفاً من رجوعهم الى المدينة ، وامر أن لا يخرج الامن

(١) النيف : بتشديد الياء وتخفيفها ومعناه الزيادة ويستعمل بعد العدد فيقال عشرة ونيف ومن الخطأ استعماله قبله فلا يقال نيف وعشرة كما هو الشائع على الالسنة والاقلام

كان معه بالامس ، ولم يلقَ حرباً لان المشركين لما بلغهم ذلك اسرعوا حتى لحقوا بمكة خوفاً من تجميع الجموع لهم

وفيها تزوَّج عثمان بن عفان امَّ كلثومَ بنتَ الرسول بعد موت اختها رُقيَّة ، ولذلك يسمى ذا النورين . وفيها تزوَّج عليه السلام حفصةَ بنت عمر بن الخطاب وزينب بنت خزيمة . وفيها ولد الحسنُ بن عليّ . وفيها حرِّمت الخمر لاضرارها الظاهرة ، ومساويها الوافرة

السنة الرابعة

فيها غزوةُ بني النضير : وهي قبيلة كبيرةٌ من يهود المدينة كان بينهم وبين المسلمين عهدٌ يأمن به كلٌّ منهم كيدَ الآخر . وقد صادف انَّ الرسول كان مع نفر من اصحابه في ديارهم ، فزيَّن لهم الشيطان انْ يقتلوا الرسول ، فخرج من عندهم وتبعه اصحابه ، ثم ارسل اليهم يأمرهم بالجلاء [١] عن البلاد فاطاعوا ثم امتنعوا ، فحاصرهم المسلمون حتى اجبروهم على الرحيل فرحلوا وحملوا اموالهم ونساءهم واولادهم الا آلةَ الحرب وما لا يستطيعون حمله على الابل .

* وفيها غزوةُ ذات الرِّقاع [٢] : خرج ومعه سبعمائة مقاتل ٧٠٠

(١) الجلاء : النزوح (٢) سميت بذات الرقاع لانهم رقعوا فيها راياتهم وفي البخاري مايدل على انها سميت بذلك لانهم لفوا على ارجلهم فيها الخرق

يُريدُ قبائلَ من نجد وهم بنو محارب و بنو ثعلبة لانهم تهيّأُوا لحرب المسلمين فلما علموا بخروجه هربوا وتركوا نساءهم فاخذها المسلمون . ثم اجتمع منهم جمعٌ لقتال الرسول فقذف الله في قلوبهم الرعب ولم يكن حرب . وفي هذه الغزوة نزل جبريل بصلاة الخوف . وفيها ايضاً نزلت رخصة التيمم .

* وفيها غزوة بدر الآخرة : خرج اليها ومعه الفٌ وخمسمائة رجل ١٥٠٠ لميعاد (١) ابي سفيان، ولم يكن قتال لانَّ ابا سفيان اخلف الوعد، وكان قد ارسل الى المدينة رجلاً ليخوّف المسلمين منه ومما جمعه لهم من الجموع، فلم يزدهم ذلك الا ايماناً وثباتاً ، وظن ان عمله هذا يثبط (٢) المسلمين عن الخروج فلا يكون هو المخالفَ للوعد .

---

* وفيها : توفيت زينب بنت خزيمة زوج الرسول . وفيها وُلد الحسينُ بن عليّ رضي الله عنهما . وفيها تزوّج عليه السلام امَّ سلمةَ هنداً . وفيها امر الرسول زيدَ بن ثابت ان يتعلّم كتابة اليهود ليكتبَ له اليهم و يقرأَ له مايكتبونه اليه .

---

(١) كان ابو سفيان قال لهم يوم احد قبل انصرافه : موعدكم بدر العام المقبل فاجابه المسلمون الى ذلك وخرجوا هذه السنة ايفاء بالوعد (٢) اي يشغلهم عنه و يمنعهم منه

السنة الخامسة

فيها غزوة دومة الجندل [١] : خرج اليها الرسول بالف رجل ١٠٠٠ يريد جمعاً من الاعراب يظلمون من مرّ بهم وقد عزموا على غزو المدينة فلما دنا منهم هربوا وتركوا ماشيتهم فاستاقها المسلمون ورجعوا سالمين غانمين .

* وفيها غزوة بني المصطلق [٢] وتسمى المريسيع [٣] ايضاً : خرج اليهم الرسولُ لتجييشهم الجيوشَ لحرب المسلمين ، وهم ممن ساعدوا قريش يوم احد ، ولما علموا بخروج الرسول خافوا خوفاً شديداً حتى تفرّق عنهم من كان معهم من العرب ، فلما وصل اليهم المسلمون حملوا عليهم فاصابوهم وسبوا النساء والرجالَ والذريةَ والاموال ، وقتلوا منهم عشرة ، ولم يقتل من المسلمين الا واحد ، واَسروا سائرهم .

غزوة الخندق

وفيها غزوةُ الخندق وهيَ الاحزاب : اجتمع طوائفُ من مشركي قريشَ وغيرهم من العرب و بنوا النضير من اليهود لحرب المسلمين ،

---

(١) هي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وتبعد عن المدينة خمسَ عشرةَ ليلة (٢) المصطلق لقب جَذيمة بن سعد بن عمرو ، سُمي به لحسن صوته ، وكان اول من غنى من خزاعة (٣) المريسيع هو ماء لبني خزاعة

وعددهم عشرة آلاف رجل ١٠٠٠٠ ويرأس الجميع ابو سفيان لانه كان قائدهم العام، اما المسلمون فلم يخرجوا من المدينة بل حفر الرسول خندقاً(١) عملاً باشارة سلمان الفارسي حذراً من هجوم الاعداء عليها، واما المشركون واليهود فحاصروا المدينة وضيّقوا عليها شديداً واستمرّ الحصار خمسة عشر يوماً، وفي ذلك الوقت نقض بنو قريظة اليهود العهود وتظاهروا ضدّ المسلمين بالعداوة، وكذلك المنافقون ابرزوا ما اكنته صدورهم من النفاق، فاشتدّ عند ذلك البلاء وعظم الخوف على المسلمين، لانّ العدوّ اتاهم من فوقهم ومن اسفل منهم، حتى زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظنّ المسلمون بالله الظنون، ولم يزالوا على هذه الحال الى ان هرب الاحزاب المحاصرون من خوف اصابهم(٢)، واراح الله المسلمين من هذه النقمة، وفي هذه الغزوة قتل عليٌّ بن ابي طالب عمرو بن ود العامري

* وفيها غزوة بني قريظة من يهود المدينة : خرج اليهم الرسول لنقضهم العهد واظهارهم العداوة يوم الاحزاب، ومعه ثلاثة آلاف

(١) حفر من الحرّة الشرقية الى الحرّة الغربية وهي الجهة التي كانت تؤتى المدينة من قِبلها (٢) وذلك ان الله سلّط على الاعداء ريحاً شديدةً ليلاً وجنوداً لم يروها فهبت ريح الصبا فقلعت الاوتاد وكفأت القدور فهربوا من ليلتهم.

فحاصرهم ، ثم طلبوا ان يمنحهم مامنح بني النضير فابى ، ثم نزلوا على ان يحكم فيهم سعد بن معاذ ، فحكم فيهم بان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرية والنساء ، فحفر لهم اخدود[1] في سوق المدينة ، وضربت اعناقهم ، وكانوا مابين ستمائة الى سبعمائة

* وفيها تزوج الرسول زينب بنت جحش ابنة عمته بعد ان طلقها مولاه زيد بن حارثة الذي كان الرسول قد تبناه[2] ، وقد امره الله ان يتزوجها ابطالاً لعادة التبني السيئة ، لان العرب كانت تعتبر المتخذ ابناً كابن حقيقي يرث ويورث الى غير ذلك من احكام البنوة[3] . وفيها نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء النبي صلى الله عليه وسلم . وفيها فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ، وفيه من الحكم ما لا يدريه الاذو بصيرة ، ويكفي من ذلك اجتماع المسلمين على اختلاف الاجناس واللغات والبلاد في محل واحد ليجدد دواعهود الاخاء والولاء ، ويدعوا الله عز وجل ان يؤيدهم بنصره ، ويمكن قواعد الالفه بينهم ، ولا يخفى ما في ذلك من الفوائد الجليلة التي تعود

(١) الاخدود هو شق مستطيل في الارض (٢) اي اتخذه ابناً وكان اولاً رقيقاً له (٣) لا تصدق ما يذكره بعض القصاصين عن سبب زواج الرسول بزينب فان ذلك مما يكذبه العقل والنقل وقد اطلنا في هذا الموضوع في (خيار المقول ، في سيرة الرسول) .

على الامة بالخير العميم ، ان فُهم السرُّ من هذا الاجتماع العظيم .

*وفيها تزوج جويريةَ بنت الحارث سيد بني المصطلق وكانت في الاسرى يوم حار بهم . ولما رأى الصحابة ان الرسول تزوجها قالوا اصهار رسول الله لا ينبغي اسرهم فمنّوا عليهم بالعتق ، وكان زواجه بها فيه من حسن السياسة ومنتهى الحكمة ما لا يدركه الا رسول الله ، لان ذلك كان سبباً في اسلام بني المصطلق جميعاً وصاروا اعواناً للمسلمين بعد ان كانوا اعداءهم

السنة السادسة

فيها غزوة بني لحَيان الذين قتلوا عاصمَ بن ثابت واخوانه غدراً [1] : خرج الرسول اليهم بمائتي راكب ولم يصادف احداً * وفيها غزوة الغابة : خرج اليها الرسول في خمسمائة رجل ٥٠٠ في طلب عُيينةَ بن حصن واربعين فارساً معه ، لانهم اغاروا على لِقاح [2] الرسول وسلبوها وقتلوا ابن ابي ذرّ ، فكان بين الفريقين مناوشات قتل فيها مسلمٌ ومشركان واستنقذوا عشر لقاح ثم رجعوا : وكان الرسول قد منَّ على عيينةَ هذا

(١) كان الرسول ارسل عشرة رجال برآسة عاصم المذكور مع رهط من عُضل والقارة ليفقهوهم وقومهم في الدين فغدروا بهم وحرَّضوا عليهم بني هذيل فقتلوا منهم ثمانية وباعوا الاثنين لاهل مكة فقتلوهما ايضاً (٢) اللقاح جمع لقحة وهي النياق ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة

واعطاه ارضاً ليرعى فيها بهمه فكفر النعمة، ثم انه لم يكفه أن كان مع الاحزاب يوم الخندق، بل زاد على ذلك سلبه لقاح الرسول

وفيها غزوة الحديبية[١]: خرج الرسول معتمراً في الف رجل وار بعمائة ١٤٠٠ بلا سلاح الا سلاحَ المسافر وهو السيوف في الاغماد، فلما علمتْ قريشُ جمعت الجموع لتصدُّه عن البيت الحرام، ثم حصل الصلح بين الفريقين وهو الصلحُ المعروف بصلح الحُدَيبية ولم يكن حرب، مع ان المسلمين لو قاوموا اعداءهم في ذلك الوقت لظفروا بهم، ولكنهم حافظوا على حرمات البيت الذي جعله الله حرماً آمناً. وفي هذه الغزاة حصلت بيعة الرضوان.

وفي هذه السنة بعد رجوع المسلمين من الحديبية: راسل عليه السلام الملوكَ يدعوهم الى الاسلام واتخذ خاتماً من فضة فيه «محمد رسول الله» فمنها كتابٌ الى قيصر ملك الروم، وكتاب الى امير بُصرى، وكتاب الى امير دِمشق من قِبل هِرَقل واسمه الحارث ابن ابي شَمَّر الغسَّاني وكان يُقيم بغوطتها، وكتابٌ الى المقوقس امير مصر من قبل قيصر، وكتابٌ الى النجاشي، وكتابٌ الى كسرى ملكِ الفرس فلما اخذه مزَّقه استكباراً، وكتابٌ الى المنذر بن ساوى ملكِ

---

(١) هي بئر على مرحلة من مكة كما في البخارى وشرحه

البحرين فاسلم ، وكتابٌ الى جيفر وعبد ابني الجلندى ملكَي عمان فاسلما ، وكتابٌ الى هوذة بنِ عليّ ملكِ اليمامة .

السنة السابعة

فيها غزوةُ خيبر « وهي مدينة ذات حصون ومزارع تبعد ثمانية بُرُد (١) عن المدينة الى جهة الشام » وكانت حصونها ثلاثةً منفصلةً عن بعضها . وسكّانها بنو النّضير من اليهود الذين كانوا اعظمَ مهيّج للاحزاب يومَ الخندق : خرج اليهم الرسول في محرّم هذه السنة ومعه الف وستمائة ١٦٠٠ رجل ، فسار حتى اتى خيبرَ ليلاً ، وكان اذا جاء قوماً بليل لم يغزهم حتى يُصبح ، ثم حاصرهم المسلمون ستةَ ايام فلم ينجحوا فلما كانت الليلة السابعة وهي ليلة الفتح قال الرسول : لاعطينّ الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ، فلما كان الصباح اعطاها عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه وكان يشتكي وجع عينيه فتفل الرسول فيهما ودعا له فبرأَ باذن الله ، فتوجه عليّ مع المسلمين للقتال ، وشدّد الحصار على الحصون الى أن فتحها اللهُ على يده بعد ان دافع عنها اصحابها دفاعاً شديداً احبوا معه الموت ، وغنمَ المسلمون منها غنائمَ

(١) البرد جمع بريد والبريد اثنا عشر ميلاً ، والميل من الارض منتهى مد البصر .

عظيمة . ومما يُنقل ان علياً رضي الله عنه عالج باب خيبر واقتلعه وجعله ترساً .

وفي هذه السنة بعد خيبر — رجع مهاجروا الحبشة ومعهم الاشعريون ابو موسى وقومه الذين كانوا معهم ، وذلك بعد اَن اقاموا عشر سنين .

وفيها فُتحت فدك (١) ، وصالحه اهلها وكانوا يهوداً على اَن يتركوا الاموالَ ويحقنَ (٢) دماءهم . *وفيها صالح اهل تيماء (٣) على دفع الجزية وكانوا من اليهود .

وفيها غزوة وادي القرى (٤) : دعا الرسول اهلها الى الاستسلام فأبوْا وقاتلوا المسلمين فقاتلوهم وغنموا منهم كثيراً .

وبانقياد اليهود المجاورين للمدينة اَمنَ المسلمون من اعداء كانوا يُثيرون العواطف ويهيجون الشرور ليضرموا نيران الحروب وصاروا مرتاحي البال من هذه الجهة

وفيها عمرة القضاء : وذلك اَنه لمّاً هلّ ذو القعدة امر الرسول اصحابه ان يعتمروا قضاءً لعمرتهم التي صدّهم المشركون عنها يوم

---

(١) فدك حصن قريب من خيبر يبعد ست ليال عن المدينة (٢) يحقن دماءهم اي يمنعها ان تسفك اي لا يقتلهم (٣) هي قرية على ثمان مراحل من المدينة (٤) هو قرى بين خيبر والشام

الحديبية وأن لا يتخلف احدٌ ممن شهد الحديبية فلم يتخلف احدٌ الاَّ رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا. ثم سار المسلمون حتى وصلوا الى مَرّ الظَّهران[1]، فعلمت قريشُ بذلك فخافوا فارسلوا فتياناً منهم الى الرسول، فقالوا: يا محمد ما عُرفت بالغدر صغيراً ولا كبيراً وإنّا لم نُحدث حدثاً، فاخبرهم انه يُريد العمرةَ لا قتالهم. ولما قرُبَ المسلمون من مكة خرج المشركون منها الى رؤوس الجبال كراهية ان يروا المسلمين يطوفون بالبيت الحرام. ثم رجع الرسول والمسلمون بعد ان اقاموا في مكة ثلاثة ايام.

* وفي هذه السنة اسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان ابن ابي طلحة بعد ان كانوا قادة الجيوش ضدّ المسلمين. وفيها تزوج عليه السلام صفية بنت حُييّ بن اخطب سيد بني النضير وكانت في السبي يومَ خيبر. وفيها تزوج ميمونة بنت الحارث زوج عمه حمزة شهيد أُحد وهي آخر نسائه زواجاً.

السنة الثامنة

فيها واقعة مؤتة «وهي من عمل البلقاء بالشام» — وكان قُتل فيها الرسول الذي ارسله عليه السلام الى امير بُصرى — : في شهر

(١) هو موضع على مرحلة من مكة

جمادى الأُولى من هذه السنة جهّز الرسول جيشاً للقصاص ممن قتلوه وكان عدده ثلاثة آلاف ٣٠٠٠ رجل ، وأمَّرَ عليهم زيد بن حارثة ، وقال لهم: ان قُتل زيد فالامير جعفر ، وان قتل جعفر فعبد الله بن رُواحة . ثم اوصاهم بوصايا منها : انهم سيجدون رجالاً حبسوا انفسهم في الصوامع فلا يتعرَّضوا لهم ولا يقتلوا امرأَة ولا صغيراً ولا فانياً ولا يقطعوا شجرًا . ثم سار الجيش، حتى وصلوا الى موئتةَ فوجدوا الروم مُجمّعين لهم قريباً من مائة وخمسين الف ١٥٠٠٠٠ مقاتل ومعهم من العدد والذخائر ما لا قِبَل لأَحدٍ به ، فقاتلوهم وقاتل زيدٌ حتى قُتل ، فأَخذ الراية جعفر بن ابي طالب فقاتل حتى قطعت يمينه فاخذها بشماله فقطعت فاحتضنها فقتل فاخذها عبد الله فقتل ، وعندها كاد المسلمون ينكسرون لولا ان أمَّروا عليهم الشهم الهمام الباسل خالد بن الوليد ، فقاتل الأَعداءَ حتى قتل منهم مقتلةً عظيمةً واصابَ غنيمة . ثم خلص هذا الجيش القليل من مخالب الاعداء التي تكاد لا تحصى بمكايده الحربية.

فتح مكة

وفيها غزوة الفتح الاعظم فتحِ مكة : نقضتْ قريش شرطًا من شروط الحديبية لانهم اعانوا بكرًا التي دخلتْ في عهدهم على خزاعةَ

التي دخلت في عهد الرسول ، وذلك ان رجلاً خزاعياً ضرب بكرياً لانه سمعه يهجو رسول الله ، فعزم بنو بكر على محاربة خزاعة وطلبوا النجدة من قريش فاعانوهم سراً ، ودهموا خزاعة على حين غفلة ، فقتلوا منهم ما يزيد على العشرين ، فلما علم الرسول بذلك تجهز للسفر ، و بعث الى من حوله من العرب . ثم سار بالجيش وكان عشرة آلاف مجاهد ، وذلك في رمضان . ولقيه في الطريق عمه العباس وكان خرج باهله مسلماً ، ولقيه ايضاً ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم الرسول واخوه من رضاع حليمة ومعه ولده جعفر فاسلما ، وفي الطريق ايضاً اسلم ابو سفيان بن حرب وكان جاء يلتمس اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاسره حارس جيش المسلمين . ثم سار الرسول ومن معه وارسل خالد بن الوليد بمن معه ليدخل مكة من اعلاها ، وامره ان لا يقاتل الا من قاتله . ودخل الرسول من اسفلها ، فاندفع خالد فصده رجال من قريش فقاتلهم وهزمهم . ثم امن الرسول اهل مكة ونادى منادٍ بامر الرسول : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، الا اشخاصاً اهدر دمهم لمساويهم التي لا تحصى ، ثم طهر الرسول الكعبة من الاصنام ، وجلس في المسجد والابصار خاشعة اليه لترى ما هو فاعل بمشركي مكة اعدائه الذين آذوه واخرجوه من بلاده وهموا بقتله مراراً وقاتلوه ،

ثم قام بهم خطيباً وكان من جملة كلامه : « يامعشر قريش ما ترون اني فاعل بكم » قالوا خيراً اخٌ كريم وابن اخ كريم ، قال اذهبوا فانتم الطّلقاء « اي الذين أُطلقوا فلم يُسترَقّوا ولم يُؤسروا » . ثم ابتدأ الناس يبايعون رسولَ الله على الاسلام ، وممن اسلم في ذلك اليوم معاوية بن ابي سفيان ، وابو قحافة والد الصديق رضي الله عنهما . وجاءه رجل يرتعد خوفاً فقال له « هون عليك فاني لست بملك ، انما انا ابن امرأة من قريشَ كانت تأكل القديد » .

ثم ارسل عليه السلام السرايا لهدم اصنام القبائل ، فهدمت العزَّى وهي اعظم صنم لقريشَ في نخلة . ثم هُدمت سُواعُ وهو صنم كبير لهذيلَ على ثلاثة اميال من مكة . ثم هُدمت مناةُ وهو صنمٌ لكلب وخزاعة في المشلَّل[١] .

واقعة حنين

وفيها غزوة حنين : سار اليها الرسول قبل ان يرجعَ من فتح مكةَ ومعه عشرة آلافٍ من اهل المدينة والفان ممن اسلم يوم الفتح ، يُريد قبيلتي ثقيفَ وهوازنَ لانهم جمعوا الجموع لحربه ، وخرج معه ايضاً ثمانون من المشركين . ولما وصلوا الى حنينَ سمعَ الرسول رجلاً يقول : لن نُغلب اليوم من قلة ، واعجب المسلمون بكثرتهم ، فصعبَ ذلك على

(١) هو جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد

الرسول . ثم التقوا بالعدو وكان على جانب عظيم من الكثرة وكان كامناً لهم في مضيق الوادي، فقابلهم بنبل كالجراد المنتشر وكان يوماً هائلاً، فدهش المسلمون وانهزموا ولم يثبت مع الرسول الا جماعة، منهم ابو بكر وعمر وعلي والعباس وابو سفيان بن الحارث ابن عم الرسول . ثم نادى العباس الانصار بامر الرسول وكان جهوري الصوت، فانعطفوا على النبي كانهم الابل اذا حنّت الى اولادها، ودافعوا عنه وصدقوا الحملة وقاتلوا الاعداء قتالاً شديداً حتى هزموهم باذن الله . وقتل من المشركين اكثر من سبعين وأُسر منهم كثير واخذ المسلمون نساءهم وذراريهم واموالهم . وقُتل من المسلمين اربعة

واسلم كثير من اهل مكة الذين كانوا مع المسلمين في هذه الغزوة بعد ان فرحوا بانكسارهم واستهزؤا بهم، وذلك لما رأوه من عناية الله بالمسلمين، ونصره اياهم بعد ان ولّوا الادبار وانهزموا شرّ هزيمة .

ومن تأمل في هذا الانكسار الذي حصل للمسلمين اول الامر — يجد ان مصدره شيئان مهمان، الاول: الاغترار بالكثرة والافتخار بوفرة العدد وعدم الاتكال في النصر على الناصر الحقيقي وهو يستدعي الثبات امام العقبات وتحمل الصدمات، والصبر إن المّت ملمّات، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلن تغني عنكم من الله شيئاً » . الثاني: ان الجيش كان اخلاطاً من المشركين

والاعراب وممن كانوا حديثي عهد بالاسلام وهؤلاء لا يهمهم انتصار المسلمين وانكسارهم ، فلا يدافعون عن الاسلام حقَّ المدافعة كمن يقاتل مخلصاً دفاعاً عن دينه في سبيل الله معتقداً ان الفرار يوم الزحف من الكبائر يعذّبه الله عليه عذاباً شديداً

وفيها غزوة الطائف : سار اليها الرسول بمن كان معه يوم حنين لطلب الفارّين ، فوجدهم قد تحصنوا وتزوّدوا بما يكفيهم قوت سنة ، فلما رأوا المسلمين نضحوهم (١) بالنبال نضحاً عظيماً هائلاً حتى أُصيب منهم كثير ، ومات اثنا عشر رجلاً بالجراح ، وبقي الحصار تسعة عشر يوماً فلم يغنِ ذلك شيئاً . ثم انصرف الرسول بمن معه ورجع الى الجعرانة حيث ترك سبي حنين

وبعد ايام اتى الرسولَ وفود هوازن مسلمين فخيرهم بين السبيِ والمال ، فاختاروا السبيَ وتركوا الاموال . وبعد ان اقام الرسول بالجعرانة ثلاثَ عشرة ليلة ١٣ احرم منها بعمرة ودخل مكة ليلاً فطاف واستلم الحجر ورجع بالجيش من ليلتــه الى المدينة ، وكان غيابه عنها شهرين وستة عشر يوماً

---

(١) النضح الرش

السنة التاسعة

غزوة تبوك

فيها غزوة تبوك[١] : وتعرف ايضاً بغزوة العسرة لانها كانت في زمن عُسرة الناس وجدب[٢] الاراضي وشدة الحرّ في وقت تُحبّ الناس فيه الراحة والدعة[٣] وطابت الظلال والثمار ، وقد استقبل المسلمون فيها سفراً بعيداً ومفاوز[٤] مهلكة وعدوّاً كثيراً ، حتى انهم كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء ، فكانت العسرةُ في الماء والظهر والنفقة . وسببها انّ الرومَ جمعت الجموع بالشام مع هرقل تريد غزوَ المسلمين في بلادهم ، فعلم الرسول بذلك فجمع الجموع من مكةَ والمدينة وقبائل العرب ، وطلب من الموسرين[٥] تجهيز المعسرين[٦] ، فجاء عثمانُ بن عفانَ بعشرة آلاف ١٠٠٠٠ دينار وثلاثمائة ٣٠٠ بعير باحلاسها[٧] واقتابها[٨] وخمسين فرساً ، فدعا له الرسول

(١) تبوك مكان معروف في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق
(٢) الجدب القحط (٣) السكون (٤) جمع مفازة وهي الفلاة المهلكة
(٥) الاغنياء (٦) الفقراء (٧) الاحلاس جمع حلس وهو ما يوضع على ظهر الدابة تحت الرحل او البرذعة او السرج (٨) الاقتاب جمع قتب وهو الرحل والبرذعة

صلى الله عليه وسلم بخير. وجاء ابو بكر بكلّ ماله وهو اربعة آلاف ٤٠٠٠ درهم، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله، وجاء عبد الرحمن ابن عوف بمائتي اوقية وجاء العباس وطلحة بمال كثير، وتصدّق عاصم ابن عديّ بتسعين وَسقاً[1] من تمر، وارسل النساء بكلّ ماقدرنَ عليه من حليهنّ، ثم جهز عثمان والعباس ايضاً و يامين بن عمرو قوماً آخرين

ثمَّ سار الرسول بالجيش وكان ثلاثين ٣٠٠٠٠ الفاً، فلما كانوا في بعض الطريق ضلّت[2] ناقة الرسول، فقال بعض المنافقين: يزعم محمد انه نبيّ ولا يدري اين ناقته، فاَطلع الله نبيه على ماقاله، فقال لهم عليه السلام: «اني والله لااعلم الا ما علّمني الله سبحانه وتعالى وقد دلّني الله تعالى عليها، وهي في الوادى في شعب كذا و كذا، وقد حبستها شجرة بزمامها». فلما وصلوا الى تبوك لم يروا فيها جيشاً كما كانوا سمعوا. وقبل انصرافه من تبوكَ جاءه يوحنا صاحب ايلةَ ومعه اهل جَرباءَ واذرُح و مِينياءَ وهي بلاد بالشام فصالحوه واعطوه الجزية، وكتب لهم كتاباً فيه امان لهم ولاموالهم ولارواحهم ماداموا على الصلح والعهد

ثم استشار الرسول اصحابه في اَن يجاوزَ تبوكَ الى ماهو ابعد منها من ديار الشام، فقال عمر: ان كنت أُمرت بالسير فسر، فقال

(١) الوسق جمل البعير او ستون صاعاً (٢) ضاعت

عليه السلام : لو كنت أُمرتُ بالسير لم استشر ، ثم رجعوا من تبوك بعد ان اقاموا بها عشرين ليلة ولم يكن حرب . و بنى في طريقه مساجد

وفيها وفد على الرسول وفدٌ من ثقيفَ فاسلموا ودعوا قومهم اهل الطائف فاجابوا

* وفي ذي القعدة من هذه السنة امر الرسول ابا بكر ان يحج بالناس ، وامره ان يؤَذِّن بالناس يوم النحر ان لا يحجَّ بعد العام مشرك ولا يطوف في البيت عُريان . فلما سار بالناس نزل على الرسول اوائل سورة براءة فارسل عليًّ بن ابي طالب ليبلِّغها للناس يوم الحج الاكبر وقال لا يُبلِّغ عني الا رجل مني . وفحواها : نبذُ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا بعهودهم ، وامهالهم اربعةَ اشهر يسيحون فيها في الارض كيف شاءوا واتمامُ العهود للمشركين الذين لم يتظاهروا ضدَّ المسلمين الى مدَّته . وانزل الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا انما المشركين نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » فلم يحج في العام القابل مشرك ، وكان عليٌّ يصلي في هذا السفر وراءَ ابي بكر رضي الله عنهما

* وفيها تُوفي عبد الله بن ابيِّ بن ابي سَلول رئيسُ المنافقين ، فاستراح المسلمون من شرور كان يهيجها عليهم . وفيها ايضاً تُوفيت امّ كلثومَ بنت الرسول وزوجُ عثمان بنِ عفان رضي الله عنهما .

السنة العاشرة

فيها ارسل الى اهل اليمن من يُعلّمهم شرائع الاسلام ، وكانت مخلافين[١] ، فبعث مُعاذَ بنَ جبل الى الكورة العليا من جهة عدن ، وبعث ابا موسى الاشعري الى الكورة السفلى ، وقال لهما : « يسرا ولا تعسرا ، وبشّرا ولا تنفّرا » . وقال لمعاذ : « انك ستأتي قوماً اهلَ كتاب[٢] ، فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وأَنَّ محمداً رسول الله ، فان اطاعوا لك بذلك ، فاخبرْهم ان الله قد فرض عليهم خمسَ صلوات كلَّ يوم وليلة ، فان هم اطاعوا لك بذلك فأَخبرْهم أنَّ الله قد فرض عليهم صدقةً[٣] تؤْخذ من اغنيائهم فتردُّ على فقرائهم ، فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم[٤] اموالهم ، واتق دعوةَ المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب » . ثم انطلق كل منهما الى عمله . فمكث مُعاذ باليمن حتى تُوفي رسول الله ، اما ابو موسى فقدم على النبي في حجة الوداع

حجة الوداع

وفي هذه السنة حجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجة التي

---

(١) المخلاف الكورة والاقليم (٢) حيثما ذكر اهل الكتاب فالمراد بهم اليهود والنصارى (٣) المراد بالصدقة الزكاة (٤) اي ان اسلموا واعطوك الزكاة فلا تعتدِ على اطايب اموالهم

تُعرف بحجة الوداع وحجة البلاغ وحجة الاسلام : خرج الرسول اليها يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة ، فسار حتى دخل مكة . وفي الثامن من ذي الحجة ذهب الى مِنى فبات فيها ، وفي التاسع منه توجه الى عرفة وفيها خطب خطبته التي تُعرف بخطبة الوداع بين فيها اهمّ اصول الدين وفروعه . وفي هذا اليوم نزل قوله تعالى الذي امتن فيه على المؤمنين وهو : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » فلا عجب أن اتخذ المسلمون ذلك اليوم عيداً . ثم رجع الرسول الى المدينة

ولما امتدَّ سلطانُ الاسلام ، وبزغت شمسه على الانام ، وادرك حقيقته الخاصُّ والعام ، — رغب فيه الشيخ والغلام ، فاتوه طوعاً زرافاتٍ ووحدانا ، مُشاةً وركبانا ، وشدُّوا الرحال لاعتناقه ، وجابوا المفاوز للتشرف في الدخول فيه ، فكثرت الوفود على الرسول في هذه السنة والتي قبلها فاسلم كثير من قبائل العرب عن طيب نفس اذعاناً لله وخضوعاً لدينه

* وفي هذه السنة : تُوفي ابراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد تمَّ لهجرة رسول الله بانتهاء السنة العاشرة عشر سنوات الا شهرين واحد عشر يوماً ، وذلك لهجرته من مكة الى المدينة

السنة الحادية عشرة

فيها جهز سرية برآسة اسامة بن زيد بن حارثة الى ابنى «وهي ناحية بالبلقاء قريبة من مؤتة حيث قتل والده» وكان في الجيش كبار المهاجرين والانصار كابي بكر وعمر وابي عبيدة وسعد. وكان اسامة شاباً لايتجاوز السابعة عشرة من عمره . ولم يتم لهذه السرية السفر لانه ابتدأ مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما اشتد برسول الله المرض استأذن نسائه ان يمرض[١] في بيت احداهن فأذن له ان يمرض في بيت عائشة . ولما تعذر عليه الخروج الى الصلاة — قال مروا ابا بكر فليصل بالناس ثم خرج الرسول متوكئاً على علي والفضل وتقدم العباس امامهم والنبي معصوب الرأس يخط[٢] برجليه حتى جلس في اسفل مرقاة المنبر فثار اليه الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : «ايها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم ؟ الا واني لاحق بربي وانكم لاحقون بي فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيراً واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول : «والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»

---

(١) يمرض اي يخدم في مرضه (٢) يخط برجليه اي لا يستطيع ان يثبتهما على الارض

وانَّ الامور تجري باذن الله ولا يحملنَّكم استبطاء امر على استعجاله ، فان الله عز وجل لا يعجلُ بعجلة احد ، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه ، « فهل عسيتم ان توليتم ان تُفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم » واوصيكم بالانصار خيراً ، فانهم الذين تبوَّأوا الدار والايمان من قبلكم : اَن تُحسنوا اليهم ، الم يُشاطروكم في الثمار ، الم يوسعوا لكم في الدار ، الم يُؤثروكم[1] على انفسهم وبهم الخصاصة[2] ، الا فمن وُليَ أن يحكم بين رجلين فليقبل من مُحسنهم وليتجاوزْ عن مُسيئهم ، الا ولا تستأثروا[3] عليهم ، الا واني فَرَط[4] لكم وانتم لاحقون بي ، الا فان موعدكم الحوْض ، الا فمن احبَّ ان يردَه عليَّ فليكففْ يدَه ولسانه الا فيما ينبغي »

وفاة الرسول

ولما كان يوم الاحد اشتدّ وجعُ الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما دخل يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الاول الذي هو تتمةُ عشرِ سنين للهجرة — فارق الرسولُ دنياه ، ولحق بمولاه ، واختار الرفيق الاعلى ، على زهرة الحياة الدنيا ، بعد ان ادّى الامانة حقَّ

(١) اي يفضّلوكم (٢) الخصاصة : الفقر (٣) لا تستأثروا : لا تستبدوا
(٤) اي متقدم عليكم وسابقكم والفرط في الاصل الذي يتقدم الواردين الى الماء فيهيئ لهم الارسان والدلاء ليستقي لهم

ادائها ، وهدى الناس الى الطريق المستقيم ، ودعاهم الى الله العظيم ، فلاقى من اجل ذلك مشقات جمة ، واهوالاً عظيمة ، فكم ازاح عقبة[(١)] كؤودًا ، وخاض بحرًا هائجًا ، وسلك مفاوزَ مهلكة ، فثبت غير مبالٍ بهول ، ولا عابىءٍ بمشقة ، ووقف امام تلك الملمَّات[(٢)] ، وسبح في تلك الغمرات[(٣)] ، الى ان صرع الحقُّ الباطل ، واباد تلك الجحافل[(٤)] ، فنُشرت اشعة ذلك الدين الحنيف في هاتيك المجاهل[(٥)] ، فذهب والكون بما فيه السنةٌ ناطقة بالشكر له والثناء عليه ، لانه كان السببَ الاقوى في تخليص العالم من الضلال والفجور وفساد الاخلاق ، والعلةَ العظمى في تنوير الافكار ، وبثّ روح المدنية الحقَّة في جسم هذا العالم ، لحسن بذلك الاحوال ، وسلم المآل . وقد شهدت له بذلك العلماء الغابرة ، والفلاسفة الحاضرة[(٦)] .

---

(١) العقبة: واحدة عقبات الجبال والعقبة الكؤود هي الصعبة الصعود (٢) الملمَّات: النوازل (٣) الغمرات: الشدائد (٤) الجحافل: الجيوش العظيمة والمراد بها جيوش الباطل (٥) المجاهل: جمع مجهل وهي الفلاة المهلكة التي لا يُهتدى فيها ، والمراد بها تلك الظلمات من الباطل والشرك والفجور التي اضلَّت الامم (٦) اطلعت قبل طبع هذه الرسالة على كلمة قالها المستشرق قرامار عن السيرة المحمدية . وقد نقلتها عن جريدة الاقبال الغراء التي تصدر في بيروت في العدد ١٧٧ من السنة الخامسة وهي : « ان السيرة المحمدية هي مشكاة او نبراس وضّاء يسير على نوره كل من يريد ان يفهم الدين الاسلامي —

***

وعند وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كان ابو بكر غائباً في السُّنْح « وهي منازل بني الحارث بن الخزْرج » فلما علم المسلمون بوفاته — عظم لديهم الامر ، واشتدَّ الهول ، وجاء عمر بنُ الخطاب منتضياً سيفه متوعداً من من يقول : مات رسول الله ، وقال : انما أُرسل اليه كما أُرسل الى موسى فلبث عند قومه اربعين ليلة . فلما جاء ابو بكر واُخبر الخبر — دخل بيت عائشة وكشف الحجاب عن وجه رسول الله فقبله وبكى ، ثم خرج فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « الا من كان يعبدُ محمداً فانَّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فانَّ الله حيٌّ لايموت ، ثم تلا قوله تعالى : « انك ميت وانهم ميتون » « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قُتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلبْ على عقِبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين » . قال عمر : فكأَني لم انلُ هذه الآية قطّ

وبقي عليه السلام في بيته بقيةَ يوم الاثنين وليلةَ الثلاثاء ويومَهُ وليلةَ الاربعاء حتى انتهى المسلمون من اقامة خليفة لهم ، ثم غُسّل وكُفّن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة . ولما تم تجهيزه

— على حقيقته ويعلم ما قام به من الاصلاح » اه قال المؤلف وحق ما قاله هذا المستشرق فان ما جاءت سيرة الرسول من العلم والاصلاح والفضيلة لا يحصر فيجد فيها المتدين بغيته والعالم ضالته والسياسي حاجته الخ

وُضع على سريره في بيت عائشة ، وصلى عليه المسلمون جميعاً بلا امام ، الرجال ثم النساء ثم الصبيان . ثم حُفر له لحدٌ في بيت عائشة حيث تُوفي ، ودُفن ليلةَ الاربعاء في جوف الليل ، ودخل القبرَ عليٌّ والعباس وولداه الفضل وقُثَم ، وهم الذين تولوا غسله وتكفينه وامره كلّه ، ورشَّ قبره بالماء بلالٌ ، ورفع قبره عن الارض قدرَ شبر .

تُوفي عليه السلام ولم يترك للمسلمين سوى شيئين لا يضرهم شيءٌ ما تمسَّكوا بهما ، وهما : كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والثاني ما حفظه عنه الثقات من الاحاديث التي كانت تشريعاً وتبييناً للاحكام ، وتوضيحاً لمقاصد القرآن الكريم .

= عاش عليه السلام ثلاثاً وستين ٦٣ سنةً ، قضى منها اربعين ٤٠ سنة قبل النبوة ، وثلاثَ عشرةَ ١٣ سنة في مكة بعدها ، وعشر ١٠ سنين في المدينة بعد الهجرة . وقد صادف يومُ ولادته وهجرته ووفاته يومَ الاثنين في الثاني عشر من ربيعٍ الاول صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا ممن يرد حوضه وينال مرافقته في اعلى عِلّيين . ثم اننَّا نحمده تعالى انْ جعلنا من أُمته * كما نسأَله ان يتوفاَّنا على ملته * ويُرشدنا للعمل بمقتضى شريعته * ويُثبِّتنا على هدايته * ويغنينا سبحانه برحمته * في الدنيا والآخرة آمين .

خاتمة

في اشياءَ متفرقة

اولاده عليه السلام

اماَّ ابناءُ الرسول فثلاثة وهم : القاسم (١) وابرهيم (٢) وعبد الله (٣) . واما بناته فهنَّ اربع : زينب (٤) ورقية (٥) وامُّ كلثوم (٦) وفاطمة (٧) البتول . وكلُّ اولاده من خديجةَ بنتِ خوَيلد الا ابرهيمَ فانه من ماريةَ القبطية . وكلُّ اولاده ولدوا قبل النبوَّة الاَّ فاطمة فبعد النبوَّة بسنة واحدة على المعتمد (٨) ، والاَّ ابرهيم فانه ولد في الثامنة من الهجرة وكل اولاده ماتوا قبله الا فاطمة فانها عاشت بعده ستة اشهر .

ازواجه وسراريه الطاهرات

قد اُختلف في ازواجه صلى الله عليه وسلم ، والمتفق عليه انهنَّ

---

(١) هو اول ولد وُلد له قبل النبوة وبه كان يُكنى وعاش سنتين (٢) توفي بعد سبعين يوماً من مولده (٣) ويلقب بالطيب والطاهر وقد مات صغيراً (٤) هي اكبر بناته ادركت الاسلام واسلمت ثم اسلم زوجها وابن خالتها ابو العاص لقيط بن الربيع (٥) زوجها عثمان بن عفان (٦) تزوجها عثمان ايضاً بعد وفاة اختها رقية (٧) زوجها علي بن ابي طالب وتلقب بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودينًا (٨) وقيل ولدت قبل النبوة بخمس سنين وهو غير معتمد

احدى عشرة امرأة ست من قريش وهن : خديجة [١] بنت خويلد ولم يتزوج غيرها الا بعد وفاتها ، وعائشة [٢] بنت ابي بكر الصديق ، وحفصة [٣] بنت عمر ، وام حبيبة [٤] بنت ابي سفيان ، وام سلمة [٥] هند بنت ابي أمية ، وسودة [٦] بنت زمعة . واربع عربيات وهن : زينب [٧] بنت جحش، من بني اسد بن خزيمة ، وميمونة [٨] بنت الحارث الهلالية ، وزينب [٩] بنت خزيمة الهلالية وتعرف بام المساكين ، وجويرية [١٠] بنت الحارث من بني المصطلق ، وواحدة من بني اسرائيل وهي صفية [١١] بنت حيي بن اخطب من بني النضير

ومات عنده عليه السلام منهن اثنتان وهما : خديجة وزينب ام المساكين ، وتوفي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة .

واما سراريه فقيل انهن اربع وهن : مارية [١٢] القبطية ام ابرهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام ، وهي التي اهداها له المقوقس صاحب

---

(١) توفيت سنة ١٠ من النبوة (٢) توفيت في المدينة سنة ٥٨ ايام معاوية (٣) توفيت سنة ٤٥ في ايام معاوية (٤) توفيت في المدينة سنة ٤٤ ايام اخيها معاوية (٥) توفيت سنة ٥٩ في ايام معاوية (٦) توفيت بالمدينة سنة ٥٤ في خلافة معاوية (٧) ماتت في المدينة سنة ٢٠ في ايام عمر (٨) توفيت سنة ٥١ بسرف ايام معاوية (٩) توفيت في حياته سنة ٤ للهجرة (١٠) ماتت سنة ٥٥ ايام معاوية (١١) توفيت سنة ٥٠ في زمن معاوية (١٢) ماتت سنة ١٦ ايام عمر

الاسكندرية ، وريحانة (١) القرظية ، وواحدة وهبتها له زينب بنت جحش ، والرابعة اصابها في بعض السبي ·

اعمام الرسول ابناء عبد المطلب

ابو طالب واسمه «عبد مناف» والزبير وحمزة (٢) والمقوّم وابو الفضل العباس (٣) «وهو اخوه من الرضاع ايضاً» وضِرار والحارث وقُثم وابو لهب «واسمه عبد العزى» والغيداق · ولم يُسلم منهم الا حمزة والعباس ·

عماته عليه السلام بنات عبد المطلب

صفية « امُّ الزُّبير بن العوَّام » وعاتكة والبيضاء « وهي ام حكيم » وبرَّة واُميمة «وهي توأمة ولد الرسول اي كانت معه في بطن واحد» وأرْوَى واسلم منهن صفية واختُلف في اسلام عاتكة واروى ·

واماَّ أُمه من الرَّضاعة فهي حليمة بنت ابي ذؤيب السعدية ، وهي التي ارضعته حتى اكملت رضاعه وزوجها ابو كبشة · وارضعته ايضاً ثُويبة جارية أبي لهب «وهي التي اعتقها ابو لهب عند ما بشرته بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم» وقد اختلف العلماء في اسلامها واسلام حليمة وزوجها ·

---

(١) ماتت في حياته سنة ١٠ للهجرة (٢) قتل يوم أُحد وله تسع وخمسون ٥٩ سنة (٣) توفي في خلافة عثمان وله ثمان وثمانون ٨٨ سنة

وكانت حاضنته أُمَّ ايمن بركةَ بنت ثعلبة امَّ أُسامةَ بن زيد ابن حارثة ·

افراسه وغير ذلك

اما افراسه فاشهرها اللّزاز والمرتجز والظرب واليعسوب واليعبوب · وبغلته دُلدُل وكانت شهباء وله غيرها · وحمـاره يعفور · وناقته القَصواء وهي التي هاجر عليها · وكان له عليه السلام خمسٌ واربعون لقحة ارسلها اليه سعد بن عبادة · وكان له مائة شاة وسبعةُ أَعنز ·

وخاتمه من فضة « وقيل من حديد » اتخذه يومَ كاتب الملوك يدعوهم الى الاسلام لمّا رجع من خيبر، ونقشه محمد رسول الله في ثلاثة اشهر ·

واشهر دروعه ذات الفضول · واشهر سيوفه ذو الفقار · واشهر خدمته انس ابن مالك ·

هيئته وبعض احواله

كان عليه الصلاة والسلام تامَّ الخَلق ، حسنَ المنظر تلوح عليه سيما الوقار والهيبة ، وكان احسنَ الناس خَلقاً ، ابيضَ الوجه ، ازهرَ[1]

(١) اي ابيض مشرق الوجه

اللون ، حسنَ الفم ، وكان عظيمَ الهامة[(١)] ، صلتَ[(٢)] الجبين ، أزجَّ[(٣)] الحاجبين ، عظيمَ الجبهة ، أهدب[(٤)] الاشفار ، ادعجَ[(٥)] العينين ، انجلهما[(٦)] ، اقنى[(٧)] الانف ، اسيلَ[(٨)] الخدَّين ، كثَّ[(٩)] اللحية ، وكان شثنَ[(١٠)] الكفين والقدمين ، عبلَ[(١١)] الذراعين ، رحبَ الكتفين ، واسعَ الصدر ، وكان ليس بالطويل ولا القصير ، وهو الى الطول اقرب ، وكان شعرُه لا رَجلاً[(١٢)] ولا سَبطاً[(١٣)] ، ولا جعداً ولا قَططاً[(١٤)] ، وكان بين أُذنيه وعاتقه ، وفي رواية الى أنصاف أُذُنيه ، وكان يُرجّله[(١٥)] ، وكان يفرِّقه تارةً ويسرِّحه اخرى ، ثم رجع الى الفرْق ، ولم يُروَ انه حلق راسه الشريفَ في غير نُسُك حجٍ او عمرُة ، وكان في رأسه ولحيته نحو عشرين شعرةً بيضاء .

---

(١) الهامة . الرأس (٢) الجبين الصلت هو الاملس البراق (٣) اي دقيق الحاجبين من غير قرن ، هذا هو المشهور ويروى انه كان مقرون الحاجبين وبه وصفه عليٌّ رضي الله عنه (٤) الاهدب . تام الهدب والهدب : ما نبت من الشعر على اشفار العين والاشفار : جمع شُفر بضم الشين وهي حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر (٥) اي شديد سوادهما مع سعتهما (٦) الانجل واسع العينين (٧) اي محدودبه (٨) الخد الاسيل هو اللين المستطيل بلا ارتفاع الوجنة (٩) كثيفها (١٠) اي غليظ اصابعهما (١١) اي ضخمهما (١٢) اي كان غير جعد (١٣) اي مسترسلاً (١٤) القطط هو القصير الجعد (١٥) يسرّحه

وكان حسنَ الصوت يبلغ صوته حيث لا يبلغه صوت غيره وكان ضحكه لا يتجاوز ظهور نواجذه وكان اكثر ضحكه التبسم ·

وكان مشيه تكفُّؤاً كانما ينحطُّ من صَبَب «والتكفوء الميل الى سنن المشي والصبب المكان المنحدر» وكان اذا وطيء بقدمه وطيء بكلها

وكان اذا التفت يلتفت بجميع بدنه لا بوجهه فقط · وكانت الرائحةَ الطيبةُ صفته وان لم يمسَّ طيباً ·

ولم يتثاءبْ ولم يتجشَّ قطُّ ·

شمائله واخلاقه عليه السلام

كما كان صلى الله عليه وسلم اكملَ الناس خَلْقاً كان اكملهم خُلُقاً واعلاهم مزية واسماهم عقلاً ، محباً للفقراء رؤوفاً بالناس رحيماً بهم لا ينفر منه جليسه ، وكان اذا حضر مجلس حيثُ ينتهي به المجلس وكان اصحابه لا يقفون له عند حضوره لانهم يعلمون منه كرهتَه لذلك · يغضب اذا أُنتهكتْ حرماتُ الله ولا يغضب لنفسه ولا ينتقم ممن آذاه بل يعفو عنه و يصفح ، قالت عائشة : ما رأَيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرًا من مظلمة ظُلمها قطُّ مالم تكن حرمة من محارم الله تعالى ، وما ضرب بيده شيئاً قط الا ان

يُجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة . وروى البخاريُّ عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سباباً ولا فحّاشاً ولا لعاّناً كان يقول لاحدنا عند المعتبة[1] ماله ترِب جبينه[2]

وكان شديدَ الخوف من الله ، كثير الخشية على علوّ منصبه ورفيع رتبته وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر[3] . وكان شجاعاً قوياً جواداً كريماً ، الى غيرذلك من الاخلاق العالية والاوصاف الكريمة التي كانت صفةً غريزية فيه صلى الله عليه وسلم وكان

---

(١) المعتبة العتاب (٢) ترب جبينة : هي كلمة جرت على لسان العرب لا يريدون حقيقتها وهو التصاقها بالتراب . والمراد بها في كلام الرسول دعاء لمن يعاتبه بالطاعة اى يصلي فيترب جبينه اى يلصق بالتراب

(٣) « مبحث عصمة الانبياء عن الذنوب » اعلم انه مما يجب اعتقاده ان الانبياء عليهم السلام منزهون عن الصغائر والكبائر . لكن قد ورد في القرآن الكريم نسبة بعض الذنوب لبعض الانبياء ، فظن من لا روية له ولا دراية أنها معاصٍ حقيقية وذنوب وقعت منهم البتة ومن أُوتي الانصاف والفهم يعلم ان ما نسب اليهم من المعاصي صادر اما عن نسيان واما عن اجتهاد واما انه ليس من الذنوب قطعاً وانما هو من باب الامر الصغير يستكبر من العظيم . فكانوا عليهم السلام كثيراً ما ينسبون الذنب لانفسهم وهو لم يخرج في الحقيقة عن باب المباحات او المكروهات وانما عدها الله عليهم ذنوباً نظراً لشرف رتبتهم وعلى مناصبهم . وفي الحقيقة ان ذنوب الانبياء كحسنات الصالحين من سائر الناس

خلقه القرآن فكما ان معاني القرآن يكلّ الوصف عنها فكذلك اوصافه الكريمة يعجز القلم واللسان عن نعتها . ومن احبّ التوسع في ذلك فعليه بالكتب المؤلفة في هذا الموضوع فان فيها العجب العجاب .

« فائدة » حسن الخلق هو ملكة نفسانية يُسهل على المتصف بها أنْ ياتي بالافعال الجميلة .

معيشته صلى الله عليه وسلم

كان الرسول لم يشبع من طعام قطّ وكان ينهى عن الشّبع لما فيه من إذهاب الفطنة وجلب الامراض وتثقيل المعدة لان المعدة بيت الداء واكثر الامراض ناشئة عن امتلاء البطون بالمآكل ، كما قال الشاعر

فان الداء اكثر ماتراه يكون من الطعام او الشراب

نموذج من معجزاته

المعجزة امر خارق للعادة يظهره الله على يد مُدَّعي النبوَّة تأييداً لدعواه والمعجزة قسمان معنويةٌ وحسية فالاولى يعرفها و يُصدّق بها ذوو البصائر النيّرة والعقول السليمة وهي عبارة عما انطوى عليه ذلك النبيُّ من الاخلاق الفاضلة والمزايا السامية وما عُرف به من العمل بمقتضى الحق والسير في جادَّة الصدق وما يلوح عليه

من الامارات الدالة على صدق مدعاه . والثانية يطلبها من لم تصل رتبته الى ادراك صدق الرسول من مجرد الاطلاع على احواله واخلاقه ولم ترتفع بصيرته وعقله الى مقام تلك المعرفة . وقد كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم الحظ الاوفر من كلتا المعجزتين المعنوية والحسية اما الاولى فقد عرفت جزأً يسيرًا جدًّا منها في النبذة السابقة . والآن نورد عليك بعضًا يسيرًا ايضًا من معجزاته الحسية .

فمنها انشقاق القمر له نصفين وقد طلبت منه العرب ذلك فاشار عليه السلام باصبعه الى القمر فشق فلقتين [1] ، وقد رآه القاصي

(١) وقد ذكرت بعض الجرائد الاجنبية مقالة عربتها جريدة الانسان العربية التي كانت تطبع في الاستانة العلية حاصلها : انه عثر في ممالك الصين على بناء قديم مكتوب عليه انه بني عام كذا الذى وقع فيه حادث سماوي عظيم وهو انشقاق القمر نصفين فحرر الحساب فوافق سنة انشقاقه لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . اه من هامش « باكورة الكلام على حقوق المرأة في السلام »

اقول قد علمت ان هذه المعجزة ذكرت في القرآن والقرآن كما لا يخفى على ذي بصيرة منقول الينا نقلاً متواترًا لا يتطرق اليه الشك والريب فهي بلا شك كانت تتلى على رؤس الناس من مؤمن وكافر . فلو لم يكن الانشقاق صحيحًا بل هو مجرد كذب لنقل الينا ذلك ولو عن المخالفين لنا . اما ولم ينقل احد المعارضة في ذلك فهي مسألة حقيقية لا مرية فيها ، لان اعداء الدين في ذلك الوقت كانوا له بالمرصاد يتطلعون اليه ليروا له هفوة او غلطة ليأخذوا بها عليه . وكيف يمكن ذلك والقرآن كلام الله .

والداني . وقد ذكرت هذه المعجزة العظيمة في القرآن الكريم في قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » . ومنها نبع الماء من بين اصابعه عند ما وضع يده الشريفة في اناء فيه ماء قليل حين اشتد العطش بالصحابة الكرام وكانوا في السفر . ومنها تكثير الطعام القليل وكانوا مسافرين ايضاً . وقد بصق يوم خيبر في عيني علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان بهما وجع ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع كما الصحيحين . واعظم معجزاته واولاها بالدلاله على صدقه هو

القرآن

كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ذلك الكتاب الذى اخرس الفصحاء واسكت البلغاء وحير الفلاسفة وأدهش الساسة وخلب عقول العلماء ذلك هو القرآن الذي سجدت له العرب العرباء وعجزت عن معارضته بل عن الاتيان باقصر صورة من مثله فلما علموا ان لا طاقة لهم بذلك – عمدوا الى السيف والسنان ، وتركوا المعارضة باللسان . . . ففيه من العلم الباهر . والفلسفة المدهشة والارشاد الصحيح مايقف عنده كل انسان حائراً . وفي الجملة فقد حوى مافيه الهداية لسعادة الدارين وهناء الحياتين . وقد فصلنا هذا المقام باوسع من هذا في مقالنا الذي سميناه « القرآن » فارجع اليه ان شئت .

فصاحته عليه السلام

كان الرسول افصح الناس واحلاهم منطقاً واعذبهم كلاماً واحسنهم بياناً · وكان لايسرد الكلام سرداً بل يتأنى فيه بحيث لو عدَّه عادٌّ لأحصاه · وقد ورد أنه كان يُعيد الكلمة ثلاثاً لتفهم عنه · وكان يُكلم العرب كلها على اختلاف لغاتها حتى قال له علي بن ابي طالب رضي الله عنه : انك تُكلم العرب بلسان مانفهم اكثره ·

شيء من جوامع كلمه وبعض حكمه

تكلَّم الرسول بكلام كثير وخاض في مواضيع وافرة وقددوَّن الرُّواة من ذلك شيئاً كثيراً كان السبب لحفظ مسائل الدين · ومن كلامه ماهو موجز الالفاظ لكنه يتضمن معاني كثيرة ، وانا ذاكرون لك ان شاء الله شيئاً منها ومن بعض حكمه المختصرة · وقد رتبنا ذلك على حروف الهجاء [1] ، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم فيما اوله

الهمزة : «١» أسلم تسلم «٢» انما الاعمال بالنيات «٣» اياكم

(١) نقلت هذه الاحاديث عن كتاب المواهب اللدنية للامام القسطلاني الذي اختصره فضيلتلو الشيخ يوسف افندي النبهاني ونقلت بعضها عن صحيح البخاري وعن كنوز الحقائق للمناوي وعن بعض كتب الحديث المعتبرة كالجامع الصغير وغيره · ثم رتبتها هذا الترتيب وشرحت ما يحتاج منها للشرح

« تنبيه » ينبغي للاستاذ ان يرغب التلامذة في حفظ هذه الاحاديث عن ظهر قلب مع تفهيمهم اياها بقدر الامكان حتي تنغرس فيهم الفضيلة فتثمر العمل الصالح

وخضراءَ الدّمن[١] ، المرأةَ الحسناءَ في المنبت السوء «٤» ايّ داءٍ ادوى[٢] من البخل «٥» انَّ من البيان لسحرا ، وانَّ من العلم لجهلا ، وان من الشعر لحِكَما «٦» استعينوا على الحاجات بالكتمان ، فان كل ذي نعمة محسود «٧» ان مما يُنبت الربيع ما يقتل حبَطاً[٣] او يُلِمّ «٨» انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم «٩» ان هذا الدين متين فأوغل[٤] فيه برفق ، ولا تُبغّض لنفسك عبادة الله ، فان المنبتَّ[٥] لا ارضاً قطع ، ولا ظهراً ابقى «١٠» ان

---

(١) الدمن : جمع دمنة وهي الآثار التى يتركها القوم بعد الرحيل من بعر واوساخ وغيرها ، يحذرهم من النبات الاخضر الذي يروق الناظر لكنه نابت بين الدمن وهي الاقذار والاوساخ ، اي لا تغتروا بمنظره الحسن قبل البحث عن منبته . ثم بين ان المراد بخضراء الدمن هي المرأة الحسناء في المنبت السوء اى لا ينبغي الاغترار بالمرأة الحسناء وجمالها الظاهري قبل البحث عن جمالها الباطني الحقيقي وفي اي منشاءٍ نشأت وعلى اي خلق تعوّدت (٢) اي اشد داءٍ (٣) الحبط انتفاخ البطن من كثرة الاكل حتى ينتفخ فيموت و يُلِم معناه يقرب اى يقرب من القتل والهلاك . هذا مثل لمن انهمك في جمع المال من حلّه وغير حلّه ومنع ما وجب عليه اخراجه منه وترك ما فرض الله عليه . (٤) اوغل : الايغال السير السريع وتوغل في الارض سار فيها وابعد (٥) المنبت هو المنقطع والمراد به المنقطع عن رفاقه في السفر الذي يحمل دابته على ما لا تطيقه من السير رغبةً في الاسراع ليصل الى غايته فينقطع ظهرها تعباً فلا تقدر على السير فينقطع هو في الطريق فيكون حينئذ لا قطع الارض التي ارادها ولا ابقى ظهر دابته سالماً فكذلك من يجهد نفسه في العبادة و يتنطّع فيها —

الدينَ يسر ولن يشادَّ الدينَ احد الا غلبه ، فسدِّدوا[١] وقاربوا. = ١١ الاقتصاد في النفقة نصفُ المعيشه ، والتودُّدُ الى الناس نصف العقل ، وحسن السوآل نصف العلم . — ١٢ أَدِّ الامانة الى من أئتمنك ، ولا تخنْ من خانك . — ١٣ التمسوا الرزق في خبايا[٢] الارض . = ١٤ اخسر الناس صفقةً من أَخلق[٣] يديه في آماله ، ولم تُساعده الايام على أُمنيّته ، فخرج من الدنيا بغير زاد ، وقدم على الله بغير حجة . = ١٥ اخسر الناس صفقةً من اذهب آخرته بدنيا غيره = ١٦ ان من كنوز البر كتمانَ المصائب . = ١٧ ان مما ادرك الناس من كلام النبوَّة الاولى : اذا لم تستحِ فاصنع ماشئت . = ١٨ اياك وما يعتذر منه . = ١٩ اياك وقرينَ السوء فانك به تُعرف .

الباء : ٢٠ البلاء موكل بالمنطق[٤] . = ٢١ البينة على المدعي واليمين على المدَّعي عليه[٥] . = ٢٢ بُعِثْتُ رحمة ولم ابعث

(١) سددوا : توسطوا لان التوسط في الامور هو السداد والصواب (٢) المراد التمسوه بالزرع والحرث (٣) اخلق : ابلى (٤) ذكر الميداني في الامثال انه من كلام ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، وذكر الصغاني انه من الموضوعات ، والصحيح انه من كلام الرسول وقد رواه الضبي بهذا اللفظ ورواه ابو داود الطيالسى بلفظ البلاء موكل بالقول (٥) جاء في شرح ديوان ابي العلا سقط الزند : ان اول من نطق بذلك قس بن ساعدة غير انه قال : واليمين على من انكر ، والحديث رواه الترمذي

لعاً نّاً . — البرُّ ما سكنت اليه النفوس — ٢٣ بُعثتُ لأُتمم مكارم الاخلاق = ٢٤ بريءٌ من الشحّ[١] من ادّى الزكاة وقرى[٢] الضيف واعطى في النائبة . — ٢٥ البرّ حسن الخلق والاثم ما حاكَ[٣] في صدرك وكرهتَ أنْ يطّلعَ عليه الناس . — ٢٦ برُّوا آباءَكم[٤] تبرّكم ابناؤُكم

التاء : ٢٧ تُنكح المرأةُ لجمالها ومالها ودينها وحسبها ، فعليك بذات الدين[٥] تربتْ يداك[٦] . — ٢٨ ترك الشرّ صدقة . — ٢٩ تواضعوا حتى لا يفخر احدٌ على احد . — ٣٠ تنقّه وتوقّه « يعنى تنقَّ[٧] الصديق واحذرهُ » . — ٣١ تهادوا تحابُّوا .

---

(١) الشح : البخل (٢) قرى الضيف اي اضافه (٣) اي أثَّر (٤) برّوا آباءكم اي احسنوا اليهم . (٥) من يرغب في نكاح امرأة انما يرغب فيه لامور: اما لمالها او حسبها او جمالها او دينها ، فالرسول يحذّر ان ينكح الانسان غير صاحبة الدين والاخلاق الشريفة ، فان اجتمع مع ذلك الحسبُ والجمال والمال فتلك نعمة فاضلة . أما ايثار الجميلة او صاحبة المال او الشرف على صاحبة الدين فذلك خطأ كبير كما يفعله اكثر الناس اليوم . (٦) قوله عليه السلام : تربت يداك هذه من الكلمات التي جاءت عن العرب صورتها الدعاء على الانسان ولا يراد بها الدعاء بل المراد بها الحث على الشيء والتحريض عليه . واصل معنى ترب افتقر . (٧) اي اذا اردت ان تتخذ صديقاً فتخيَّره ولا تتسرع في صداقته ، ومع ذلك فتيقظ منه واحذره ولا تبح له بجميع اسرارك فربما صار عدوًّا لك يوماً ما .

— ٣٢ التوبة تهدم الحوبة(١) = ٣٣ التدبير نصف العيش ٠

الثاء : ٣٤ ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وقال اني مسلم : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا أُئتمن خان ٠ — ٣٥ ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان : الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق في الاقتار(٢)

الجيم : ٣٦ جدع(٣) الحلال انف الغيرة ٠ — ٣٧ الجار قبل الدار ٠ — ٣٨ جمال الرجل فصاحة لسانه ٠ — ٣٩ الجنة تحت اقدام الامهات ٠ — ٤٠ جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها ٠

الحاء : ٤١ حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره ٠ — ٤٢ الحرب خدعة ٠ — ٤٣ حبك الشيء يعمي ويصم

(١) الحوبة : الذنب ، والتوبة التي تهدم الذنوب وتكفرها هي التوبة النصوح وهي الندم على الذنب حين يفرط من الانسان فيستغفر الله تعالى ثم لا يعود اليه ابداً ٠ اما من يتوب على نية الرجوع او يتوب من الذنب ثم يرجع اليه ثم يتوب ثم يرجع وهلم جرًّا فهو ممن لا تقبل له توبة ٠ واعلم ان الذنوب التي يكفرها الله بالتوبة انما هي الحقوق الالهية ، اما حقوق المخلوقين فلا تغفر الا اذا تجاوز عنها صاحبها (٢) اي في حالة الفقر وهو نهاية الكرم ، وقد ورد : افضل الصدقة جهد المقل (٣) جدع : قطع ، قال ذلك الرسول ليلة زُفت فاطمة على علي بن ابي طالب رضى الله عنهما ، ذكر ذلك الميداني في امثاله

—٤٤ حسن العهد من الايمان — ٤٥ الحكمة ضالَّة المؤمن[1] ·
—٤٦ الحياء من الايمان · —٤٧ الحياء هو الدين كله · — ٤٨ الحلف حِنْث[2] او ندم · — ٤٩ الحزم أَنْ تشاورَ ذا رأْي ثم تطيعه

الخاء : ٥٠ خيركم خيركم لاهله[3] · —٥١ الخلق السيّء يُفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل · — ٥٢ الخلق كلهم عيالُ الله واحبُّهم اليه انفعهم لعياله · —٥٣ خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن اليه · —٥٤ خالق الناس بخُلق حسن · —٥٥ خذوا على ايدي سفهائكم قبل ان يُهلكوا او يَهلِكوا · — ٥٦ خير الناس احسنهم خُلُقاً ·

الدال : ٥٧ الدنيا عَرَض حاضر، يا كل منها البرُّ والفاجر، والآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك عادل، يُحقُّ الحقَّ ويُبطل الباطل، فكونوا ابناءَ الآخرة ولا تكونوا ابناءَ الدنيا[4]، فانَّ كلَّ أُمّ يتبعها ولدها ·
—٥٨ الدالُّ على الخير كفاعله، والدال على الشر كفاعله · = ٥٩ الدين

(١) الحكمة : العلم · وضلّ الشيء فهو ضالٌّ بمعنى ضاع ، اي ان العلم بمنزلة ضائع للانسان فيأخذه ممن وجده معه ايا كان وقد ورد : « خذ الحكمة ولا يضرك من اي وعاء خرجت » · (٢) الحنث : الخلف في اليمين · (٣) اى لزوجته « او لاهل بيته » وتمام الحديث وانا خيركم لاهلي ، لانه ورد انه عليه السلام لم يضرب زوجة ولا شتمها (٤) ليس المراد انه ينهاهم عن الدنيا البتة وان يتركوها قطعاً وانما نهاهم ان يجعلوها مقصودة بالذات بل وسيلة للآخرة وقنطرة يجوزون فيها اليها ، والقرآن والاحاديث طافحة بما يحثّ الانسان —

مقضيٌّ والزعيم غارم[١] =٦٠ الدّين النصيحة =٦١ دع ما يريبك الى ما لا يريبك[٢] =٦٢ دع قيل وقال وكثرة السوآل واضاعة المال. =٦٣ دعوة المظلوم لا تحجب. =٦٤ دعوه فان لصاحب الحق مقالاً[٣]

الذال : ٦٥ الذنب لا ينسى ، والبرُّ لا يبلى ، والديان لا يموت فكن كما شئتَ. =٦٦ ذروا المرائي لقلة خيره.

—على الكسب والعمل ، قال تعالى : ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقال صلى الله عليه وسلم : اعمل لدنياك كانك تعيش ابداً واعمل لآخرتك كانك تموت غداً. والزهد في الدنيا المطلوب شرعاً هو ان لا يغترّ بزخارفها ويميل الى ملذاتها ويصبو الى مشتهياتها ان كان شيء من ذلك يضر بامر الدين ، وان يكون ما عنده من الاموال في يده لا في قلبه بحيث يصرفه في وجوهه المشروعة متى دُعي الى ذلك ، لا أن يهمل الاشغال والاعمال ويكون كلاًّ على العباد. وقد ورد في الحديث : ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً فان الدنيا بلاغ الآخرة ولا تكونوا كلاًّ على النـاس. على ان من راجع تاريخ الصحابة يعلم ان منهم من كان عنده من الاموال القناطير المقنطرة والانعام والخيول الخ لكنهم متى وجدوا حاجة الى انفاق شيء منه وجدت احدهم اسرع الى ذلك من السهم الى هدفه

(١) الزعيم : الكفيل. وغارم اي ملزم بدفع الدين عمن كفله. (٢) اي اترك ما تشك فيه وتشتبه وافعل ما لا ريبة فيه ولا شك. (٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي عليه الصلاة والسلام مديوناً لرجل يهودي فتقاضاه في طلب دينه فاغلظ عليه فقصد اصحابه الى زجره فقال عليه الصلاة والسلام دعوه فان لصاحب الحق مقالاً » المراد بالحق هنا الدين.

الراء : ٦٧ الرفيق قبل الطريق = ٦٨ الرضاع يغيّر الطباع = ٦٩ رأس الحكمة مخافةُ الله تعالى · = ٧٠ الرفق يمن والخرق شُؤْم · = ٧١ رحم الله امرأً أصلح من لسانه · = ٧٢ الراحمون يرحمهم الرحمن · = ٧٣ الرفقُ في المعيشة خيرٌ من بعض التجارة[١]

الزاي : ٧٤ زرْ غِباً[٢] تزددْ حباً · = ٧٥ زِن وأرجحْ

السين : ٧٦ السعيدُ مَن وُعظ بغيره · = ٧٧ سوء الخلق شؤْمٌ وشراركم اسوأُكم اخلاقاً · = ٧٨ سدِّدْ وقاربْ تنجُ · = ٧٩ سيد القوم خادمهم · = ٨٠ سيدُ العمل الورع[٣] = ٨١ السكينةُ مَغنم وتركها مُغرم[٤] ·

الشين : ٨٢ شرارُ الناس الذين يُكرمون اتقاءَ شرّهم · = ٨٣ شراكٌ من نار « قاله للغالّ[٥] » · = ٨٤ شرُّ الناس مَن أُتقي مجالسه لفحشه · = ٨٥ شفاء العيّ السوآل · = ٨٦ شرّ الرِعاء[٦]

---

(١) اذا كان مورد الانسان من الرزق قليلاً فاستعمل الحكمة في النفقة فذلك خير له من بعض التجارة ، وذلك فيما لو اكتسب المال من غير وجوهه المشروعة لسدّ ما يتقاضاه من التوسعة في المعيشة · (٢) الغبّ في الزيارة ان تزور مرة في كل اسبوع (٣) الورع: التقوى والتحفظ من الشبهات خوف الوقوع في المحرم (٤) المغرم : في الاصل الغرامة وهو ما يلزم اداؤه ، والمراد بالمغرم هنا الخسارة · (٥) الغالّ : الخائن · (٦) الرعاء : جمع راع وهو من تولى امر —

الحُطَمة . = ٨٧ شرُّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يساءُ اليه . = ٨٨ الشعر كلام فحسنه حَسنٌ وقبيحه قبيحٌ .

الصاد : ٨٩ صنائعُ المعروف تقي مصارعَ[1] السوء ، وصدقة البر تطفئُ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر . = ٩٠ الصمت حكمٌ[2] وقليلٌ فاعله . = ٩١ صِلْ من قطعك ، وأَحسنْ الى من أَساءَ اليك ، وقل الحقَّ ولو على نفسك . = ٩٢ الصبر عندَ الصدمة الاولى . = ٩٣ الصبر مفتاح الفرج .

الضاد : ٩٤ ضعي في يد المسكين ولو ظِلفاً[3] محرقاً . = ٩٥ الضيافة ثلاثةُ أيامٍ فما زاد فهو صدقة[4]

—البهائم من رعي وغيره « الحطمة : الراعى الظلوم . والحطمة في القرآن : الشديدة من النيران ، او اسم لجهنم

(١) مصارع : جمع مصرع وهو اسم مكان من الصرع وهو الطرح ، اى صنائع المعروف تحفظ الانسان من مواقع الشر (٢) الحكم : اصل معناه المنع ومثله الحكمة ، وجعل النبي الصمت حكماً لا نه يمنع صاحبه من الوقوع في الاثم والشدة لان سلامة الانسان في حفظ اللسان . (٣) الظلف : من الشاة والبقرة مثل القدم لنا . والمراد ضعي شيئاً في يده ولو شيئاً لا يُعبأُ به ولا تردّيه خائباً . (٤) هذه رواية احمد وغيره وفي رواية البخاري: فما كان وراء ذلك فهو صدقة . وفي رواية ابن ابي الدنيا زيادة عليهم وهى : وعلى الضيف ان يتحوّل بعد ثلاثة ايام .

الطاء : ٩٦ الطمع يُذهب الحكمةَ من قلوب العلماء ٠
= ٩٧ الطهور شطر الايمان[(١)] ٠ = ٩٨ طلب العلم فريضة على كل مسلم ٠

الظاء : ٩٩ الظلم ظلمات يوم القيامة ٠ = ١٠٠ الظنّ أكذب الحديث ٠ = ١٠١ ظلم الغنيّ المطل ٠ = ١٠٢ ظلم الاجير اجرَه من الكبائر ٠

العين : ١٠٣ العفو لا يزيد العبد الا عزّاً ، والتواضع لا يزيده الا رفعة ، وما نقص مال من صدقه ٠ = ١٠٤ العدة عطية[(٢)] ٠
= ١٠٥ العدة دين[(٣)] ٠ = ١٠٦ العالم والمتعلم شريكان في الاجر ٠
= ١٠٧ علّموا ويسروا ولا تعسروا ، وبشّروا ولا تنفّروا ، واذا غضب

---

(١) ليس المراد بالطهور الذي هو شطر الايمان طهارة الظاهر بافاضة الماء عليه وتنظيفه والباطن مشحون بالاخباث ٠ بل المراد به ما يشمل طهارة الظاهر وطهارة الجوارح عن اكتساب الآثام والجرائم وطهارة القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة ٠ وطهارة السر عما سوى الله وهي طهارة الانبياء صلوات الله عليهم ٠ هذا تلخيص كلام الامام الغزالي في شرح هذا الحديث وهو كلام نفيس جداً ٠ راجع تتمة البحث في الاحياء في كتاب اسرار الطهارة ٠ (٢) اي بمنزلة العطية فلا ينبغي ان يُخلف بها كما لا ينبغي ان يرجع الانسان في عطيته (٣) اي كالدين في تاكد الوفاء بها فاذا احسنت القول فأحسن الفعل ليجتمع لك مزية اللسان ٠ وثمرة الاحسان

احدكم فليسكت . = ١٠٨ عليك بالاياس مما في ايدي الناس ، واياك والطمع فانه الفقر الحاضر .

الغين : ١٠٩ غض بصرك[١] . = ١١٠ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة . = ١١١ الغيبة ذكرك اخاك بما يكره . = ١١٢ الغيرة من الايمان[٢] . = ١١٣ الغل[٣] والحسد ياكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب .

الفاء : ١١٤ في كل ذات كبدٍ حرّى[٤] اجر . ١١٥ فيك خصلتان يحبهما الله : الحلم والأناة[٥] . = ١١٦ فكّوا

---

(١) اي عما لا يحل لك . (٢) هذا اذا كانت غيرة الرجل على اهله عند الريبة والشك والا فهي مذمومة . (٣) الغل بكسر الغين هو الحقد وقد يفسر بالغش . (٤) ذات بمعنى صاحبة « الحرى » العطشى مؤنث الحران بمعنى العطشان . والمعني ان الانسان يؤجر بكل عمل خير يعمله ولو بسقي الماء للمحتاج من بني آدم او غيرهم من الحيوانات والبهائم . وقد ورد في الحديث : غفر لامرأة مومسة مرّت بكلب على رأس ركيّ يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خفّها فاوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك . « ركيّ : جمع ركيّة وهي البئر . ويلهث معناه يخرج لسانه من العطش » ولا يخفى مافي قول الرسول هذ من الحث على الرفق بالحيوان والشفقة عليه . وقد ورد كثير من الاحاديث الدالة على تأكدذلك والحاثّة عليه فليستفد منها ماشاء كل من يسعى بانشاء الجمعيات للرفق بالحيوانات من اهل اوروبا وغيرهم (٥) الحلم : العقل « الاناة : الرفق وعدم التسرع »

العاني [١] ، وأَجيبوا الداعي ، واَطعموا الجائع ، وعودوا [٢] المريض ٠
= ١١٧ في المنافق ثلاثٌ خصال : اذا حدَّث كذب ، واذا وعد أَخلف ، واذا ائتُمن خان ٠ — ١١٨ الفضلُ في أَن تصلَ من قطعك ، وتُعطيَ من حرمك ، وتعفوَ عمن ظلمك :

القاف : ١١٩ القناعة مالٌ لا ينفد ، وكنز لا يفنى ٠
= ١٢٠ قال عيسى [٣] : لدوا للموت وابنوا للخراب ٠ = ١٢١ قال داود : يا زارع السيئات تحصدُ شوكها وحسكها [٤] ٠ — ١٢٢ قل الحقَّ وان كان مرًّا ٠ = ١٢٣ قل آمنتُ بالله ثمَّ استقمْ ٠ = ١٢٤ القناعة كنز لا يفنى ٠ — ١٢٥ قولوا خيرًا تغنموا ، واسكتوا عن شرّ تسلموا ٠ = ١٢٦ قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقلَ له ٠ = ١٢٧ القضاة [٥] ثلاثه : اثنان في النار وواحد في الجنة ، رجل علم الحقَّ فقضى به فهو في الجنة ، ورجلٌ قضى للناس على جهلٍ فهو في النار ، ورجل عَرف الحقَّ فجار في الحكم فهو في النار ٠

الكاف : ١٢٨ الكيّس [٦] من دان نفسه وعمل لما بعد

---

(١) العاني : الاسير (٢) عودوا : زوروا (٣) المراد به عيسى بن مريم صلوات الله عليه ٠ (٤) الحسك : نبات له شوك ٠ (٥) القضاة : جمع قاضٍ وهو الحاكم والمراد به الحاكم بامر من الامور بين الناس (٦) الكيّس : المراد به العاقل « دان نفسه : جازاها على اعمالها وحاسبها على ما فرط منها واذلها فى طلب الحق

الموت ، والعاجز مَن اتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الاماني ٠ — ١٢٩ كاد الفقر أن يكونَ كفرًا ٠ — ١٣٠ كبُرتْ خيانةً أن تُحدّثَ اخاك حديثاً هولك به مُصدّق وانت له به مُكذّب ٠ — ١٣١ كتاب الله القصاص ٠ — ١٣٢ كرم المرء دينه ، ومُروءَته عقله ٠ وحسبُه خلقه ٠ — ١٣٣ كفى بالمرء إثمًا أن يحدّث بكل ما سمع ٠ — ١٣٤ كل مسكر حرام ٠ = ١٣٥ كلكم راعٍ وكلّ راعٍ مسؤول عن رعيته ٠ = ١٣٦ كما تَدين تُدان [1] ٠ = ١٣٧ كلّ معروف صدقه

اللام : ١٣٨ ليس للعامل من عمله الا ما نواه » ١٣٩ لا يجني [2] جان الا على نفسه » ١٤٠ ليس الشديدُ بالصُّرَعة [3] انما الشديد مَن يملك نفسه عند الغضب » ١٤١ ليس الخبر كالمعاينة » ١٤٢ لا ينتطح فيها عنزان [4] » ١٤٣ لأَنْ يُؤَدّب الرجل ولده خيرله من أن يتصدَّقَ بصاع [5] » ١٤٤ لستُ من

(١) اى كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت (٢) يجني : يذنب ويجرم (٣) الصرعة : الذى يصرع الناس ويغلبهم ٠ اي ليس الشديد من يغلب الناس انما الشديد من يغلب نفسه ويملكها عند الغضب (٤) اي لا يجرى فيها خلاف ولا نزاع ٠ وهو مثل يضرب لما لا ينبغي الكلام فيه لانه معروف (٥) الصاع : الذي يكال به وهو اربعة امداد ٠ والمد يبلغ مائة وثمانية وثلاثين ١٣٨ درهما اسلامبوليًا ٠

دَدٍ[١] ولا الددُ مني » ١٤٥ لقد اوصاني جبريل بالجار حتى ظننت توريثه[٢] » ١٤٦ لقد شقيت ان لم اعدل » ١٤٧ لعن الله من مثَّل بالحيوان[٣] » ١٤٨ لعن الله المخنَّث[٤] » ١٤٩ لم يكذب من نمى[٥] بين اثنين ليُصلح » ١٥٠ لو بغى جبل على جبل لدُكَّ الباغي منهما » ١٥١ لن يغلب عسر يسرين » ١٥٢ لن يهلك امرؤ بعد مشورة » ١٥٣ ليس بمؤمن مَن لم يأْمن جاره غوائله[٦] » ١٥٤ . ليس لاحدٍ فضلٌ على احد الاَّ بدينٍ او عمل صالح » ١٥٥ ليس مني الا عالم او متعلم » ١٥٦ لاعقل كالتدبير، ولا ورعَ كالكفّ[٧] ولا حسب كحسن الخلق » ١٥٧ لا إيمانَ لمن لا امانة له، ولا دينَ لمن لا عهد له » ١٥٨ لافقرَ اشدّ من الجهل، ولا مالَ اعزُّ من العقل، ولا وحشةَ اشدُّ من

(١) الدد · اللهو واللعب · «٢» هذه رواية الطبراني · وفي رواية البخاري: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورّثه · (٣) مثل بالحيوان: نكل به والتنكيل به . ان يقطع نحو اذنه ويده وانفه · (٤) المخنث: الذي يتشبه بالنساء باللين والتكسر ورخامة الصوت واللباس · (٥) نمى: قال في مجاز الاساس: نميت الحديث الى فلان رفعته واسندته ويقال نميت الحديث بلغته على جهة الاصلاح ونميته «بتشديد الميم» بلغته على جهة الافساد اه ومعنى الحديث: ان من يسند كلاماً الى آخر لم يقله للاصلاح بين الناس فليس بكاذب (٦) غوائله: اي اضراره ومساويه · والغوائل في الاصل المهلكات · (٧) اي كالامتناع عن المعاصي

العُجب[١] » ١٥٩ لا تُظهر الشماتةَ باخيك يعافيه الله ويبتليك »
١٦٠ لا يدخل الجنة قتاتٌ[٢] » ١٦١ لا يقضيَنَّ حكمٌ بين اثنين وهو غضبان » ١٦٢ لا يُؤْمن احدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبّ لنفسه » ١٦٣ لا يُلدغُ[٣] المؤمن من جُحر مرتين » ١٦٤ لا تُوكي[٤] فيُوكى عليكِ ، ارضخي[٥] بما استطعت » ١٦٥ لا ضررَ[٦] ولا ضرار » ١٦٦ لا تُحصي[٧] فيحصى عليك .

«١» لان المعجب بنفسه المتكبر على غيره تنفر منه الناس فيعيش منفرداً فيستوحش لذلك (٢) القتات : النمام وهو من ينقل احاديث الناس الى غيرهم(٣)لا يلدغ : رواه الميدانى في الامثال بلفظ لا يلسع ومعناهما واحد «الجحر: لنحو الحية مكان مبيتها . اي اذا لسع الانسان من جحر حية فلا يتعرض له مرة اخرى وهو مثل يضرب لمن نكب او اصيب مرة بعد اخرى «٤» لا توكي اي لا تبخلي بما عندك وتمنعيه . يقال اوكى ما على في سقائه اذا شده بالوكاء وهو الخيط الذي يشد به راس القربة . اي لا تربطي على ما عندك من الرزق بمعنى لا تمتنعي عن التصدّق به خوفاً من نفاده فيوكى عليك اي فتنقطع عنك مادة الرزق «٥» ارضخي : الرضخ العطاء اليسير اي اعطي وانفقي ما استطعت من غير تبذير ولا تقتير . «٦» المعنى لا اضرار للنفس ولا اضرار بالغير . اي لا تفعل ما يضر بك ولا بغيرك «٧» لعلّ المعنى : لا تحصي على الناس زلاتهم . اي لا تواخذيهم بما يفرط منهم من الهفوات . بل عامليهم بالاغضاء عن زلاتهم والسماح عن هفواتهم . ولا تعدّى عليهم ذلك فيحصي الله عليك ذنوبك ويعاملك بمثل ماتعاملين به عبيده . او أن المعني : لا تحصي ما تجودين به من الاحسان للناس فيحصي الله عليك

الميم » ١٦٧ المرءُ مع مَن أحبّ » ١٦٨ المجالس بالامانة[١] » ١٦٩ المستشار مؤتمن[٢] » ١٧٠ من ابطأ[٣] به عمله لم يُسرع به نسبه » ١٧١ ما حاكَ[٤] في صدرك فدعه » ١٧٢ ما خابَ من استخار[٥]، ولا ندم مَن استشار، ولا عال[٦] من اقتصد » ١٧٣ مَن يضمن لي ما بين لحييه[٧] وما بين رجليه اضمن له الجنة » ١٧٤ منهومانِ[٨] لا يشبعان: طالبُ علم وطالب دنيا » ١٧٥ من حسن اسلامِ المرء تركُه مالا يَعنيه[٩] » ١٧٦ ما آمن بالقرآن مَن استحلّ محارمَه[١٠] » ١٧٧ مداراة الناس

«١» اى فلا يجوز افشاء ما دار فيها من الكلام واذاعته بين غير اهله «٢» المستشار: مَن يستشيره الناس . اى يجب ان تكون صفته الامانة . فلا يجوز أن يشير على من استشاره بغير ما فيه المصلحة والخير ولو كان المستشير عدوًّا له الدّ «٣» ابطأ: تأخر . أبطأ به اخّره «٤» اى مايعتريك فيه شبهة فاتركه «٥» استخار: طلب الخير «٦» عال: افتقر «اقتصد: لم يسرف ولم يقتّر بل التزم الحد الاوسط في المعيشة» «٧» مثنى لحى وهو منبت شعر اللحية والمراد بما بين اللحيين اللسان او الفم بما فيه بحيث لا يطعم حراماً ولا ينطق الا بما يوافق الشرع فلا يغتاب ولا يكذب ولا ينقل احاديث الناس ولا يسب ولا يلعن . الى غير ذلك من الآفات اللسانية . والمراد بما بين الرجلين الذكر بحيث لا يكشفه على المحرّم «٨» النهم: بفتحتين افراط الشهوة في الطعام «٩» اى مالا يهمه وليس له فيه حاجة (١٠) لان العمل الصالح اثر الايمان الصحيح . فمن آمن حق الايمان . انزجر بزواجر القرآن . وقد ورد: الايمان عرثان . اي جائع يطلب العمل كما يطلب الجائع الطعام

صدقة » ١٧٨ مكارم الاخلاق اعمالُ اهل الجنة » ١٧٩ من البرأن تصل صديق ابيك[١] » ١٨٠ مِن فقه[٢] الرجل رفقهُ في معيشته » ١٨١ من احبَّ الله استحيى » ١٨٢ مَنْ اخذاموال الناس يُريد اداءَها ادَّى الله عنه » ١٨٣ مَن امر بمعروف فليكن امره بمعروف[٣] » ١٨٤ من بذا[٤] جفا » ١٨٥ مَن تواضع لله رفعه » ١٨٦ مَن جرَّ ثوبه من الخيلاء[٥] لم ينظر الله اليه » ١٨٧ من حام حول الحمي[٦] يوشك ان يواقعه » ١٨٨ مَن رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله » ١٨٩ من دلَّ على خير فله مثل اجر فاعله » ١٩٠ من ذكر رجلاً بما فيه فقد اغتابه[٧] » ١٩١ من ردَّ عن عرض اخيه ردَّ الله عن وجهه » ١٩٢ من

---

(١) اى ان من البر الى الوالدين الاحسان الى اصدقائهما. (٢) الفقه: العلم. اى ان من جملة علم الانسان ان يعلم كيفية الاقتصاد ليرفق في معيشته فيحيي هنيئاً «٣» اى من نصب نفسه لوعظ الناس وارشادهم وانتقاد عوائدهم — فليستعمل التؤدة والتأني والرفق والمعروف من القول. فلا يتهور بلسانه او قلمه بل يجعل الحكمة في النصيحة نصب عينيه فان فعل غير ذلك فقد اضاع المقصود وحرم النتيجة. وقد كنا كتبنا في هذا الموضوع موضوع الانتقاد والامر بالمعروف رسالة وافية ربما ننشرها فيما بعد «٤» البذاء: الفحش اى من آذى الناس بفحش كلامه فقد جفاهم «٥» الخيلاء: الكبر «٦» الحمى: المراد به هنا المحظورات الشرعية على سبيل المجاز «٧» ان ذكره بما فيه فعليه اثم الغيبة وان ذكره بما ليس فيه فعليه اثم الغيبة والكذب.

جلب [1] على خيل الرِّهان فليس منا » ١٩٣ من سرَّه أن يسلم فليلزم الصمت [2] » ١٩٤ من صمت نجا » ١٩٥ مَن غشَّ ليس منا [3] » ١٩٦ المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه [4] والمهاجر [5] من هجر مانهى الله عنه » ١٩٧ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره ، ومن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفه ، ومن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا او ليصمت » ١٩٨ المؤمنون عند شروطهم فيما أُحلَّ » ١٩٩ مَن أَتاه اخوه مُتنصِّلاً [6] فليقبلْ ذلك منه مُحقًا كانَ او مُبطلاً ، فان لم يفعل لم يردْ عليّ الحوض .

«١» جلب على الخيل : صاح بها او وكزها لتعدو وتجرى . الرهان : المسابقة على الخيل . والمعني ان من يجهد فرسه ويضربها او يصيح بها لتجري سريعًا يوم السباق فليس منا . لان هذا ليس من باب الشفقة والمرحمة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم . لانه بعث رحمة للعالمين عاقلهم وغير عاقلهم «٢» الصمت : السكوت «٣» هذه رواية الترمذى . ورواه احمد وابو داود وابن ماجه والحاكم بلفظ : ليس منا من غش . اى ليس منا من غش احدًا لان الغش حرام لكل عباد الله «٤» اى فان آذاهم بكلامه او بيده فليس بمسلم على الحقيقة . وكذا من آذى الذميين والمعاهدين ومن هم في امان المسلمين . فايذاء المسلم وايذاؤهم سواء . لان لهم مالنا وعليهم ما علينا . وقد قال الرسول : من آذي ذميًا فانا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة «٥» المهاجر : المراد به من هاجر مع النبي الى المدينة وفضله معلوم مشهور والمعنى : ليس المهاجر من هاجر معي بل من ترك مانهي الله عنه «٦» متنصلاً : متبرأً من ذنبه

النون : ٢٠٠ ناموا فاذا انتبهتم فأَحسنوا[١] » ٢٠١ نعمتان مغبون[٢] فيهما كثيرٌ من الناس : الصحةُ والفراغ » ٢٠٢ نِعْمتِ الدارُ الدنيا لمن تزوّد منها لآخرته » ٢٠٣ نفقةُ الرجلِ على اهله صدقة » ٢٠٤ الندم توبة » ٢٠٥ النـاسُ عالم ومتعلم ولا خيرَ فيما بينهما » ٢٠٦ الناس كإبلٍ مائةٍ[٣] لا تجدُ فيها راحلة » ٢٠٧ النساءُ حبائل[٤] الشيطان » ٢٠٨ الناس معادن[٥]

الهاء : الهمُّ نصف الهرَم » ٢٠٩ هل يكُبُّ الناسَ على وجوههم الاَّ حصائد[٦] أَلسنتهم » ٢١٠ هل تُنصرون وتُرزقون الا بضعفائكم[٧] » ٢١١ هلك المتنطعون[٨]

الواو : ٢١٢ الوحدةُ خيرٌ من جليس السوء » ٢١٣ ويلٌ للذي يُحدِّث فيكذب ليُضحكَ به القوم ·

---

(١) اي احسنوا اقوالكم وافعالكم (٢) مغبون : مخدوع والمعنى ان الصحة والفراغ خدع بها كثير من الناس (٣) الابل : الجمال (الراحلة : ما يصلح للركوب ووضع الرحل عليه من الجمال والمعنى ان الناس كثير والنافع منهم قليل (٤) الحبائل : جمع حبالة وهي شبكة الصائد اي ان النساء شباك للشيطان يصطاد بهـا اوليائه · ونسبهُ الميداني في الامثال لابن مسعود (٥) اي فمنهم الغث والسمين والنافع والضار (٦) كبه على وجهه فاكب : صرعه والقاه (حصائد السنتهم : اي ماتحصده السنتهم من الشرور وما تلفظه من البذاء والفحش (٧) فيه من الحث على القيام بشأن الضعفاء مالا يخفى والمراد بالضعفاءِ : من ليس لهم قوة علي مباشرة الاعمال لكبر او عاهة او مرض (٨) اي الذين يتنطعون في العبادة ويتعمقون فيها ويكلفون انفسهم مالا تطيق وقد ورد في الحديث : اياكم والغلو في الدين راجع الكلام على شرح الحديث التاسع ·

الياء : ٢١٤ اليمينُ حِنثٌ[1] او ندم » ٢١٥ اليومَ الرِّهان[2]، وغداً السباق، والغايةُ الجنة، والهالكُ مَن دخل النار » ٢١٦ اليدُ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى[3] » ٢١٧ اليمين الفاجرةُ[4] تدعُ الديار بلاقع » ٢١٨ يابني سَلِمَةَ دياركم تكتب آثارَكم[5] » ٢١٩ يُنصبُ لكلِّ غادر لواءٌ يُعرف به[6] » ٢٢٠ يُحشر الجبارون والمتكبرون يومَ القيامة امثالَ الذرِّ[7] يطؤهم الناس » ٢٢١ يحبُّ الله العاملَ اذا عمل أنْ يُحسن[8]

تم الكتاب

هذا ما اردت ايراده من سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم راجياً من الله قبوله وان يجعله نافعاً لمن قرأه من الاحداث وعوّام الامة . وكان الفراغ منه في شهور سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة والف ١٣٢٣ للهجرة بيروت مصطفى سليم الغلاييني

١٩٠٥

---

(١) الحنث : الخلف في اليمين (٢) الرهان : المراد به هنا اخراج كل من المتراهنين رهناً ليفوز السابق بالجميع (٣) ينبه على ترك السوآل والحث على العمل (٤) الفاجرة : الكاذبة (بلاقع : جمع بلقع وهي الارض التى لا شيء فيها (٥) اي ماتثر كونه فيها من خير اوشر (٦) اي يوم القيامة (٧) الذر : جمع ذرة وهي اصغر النمل (٨) سواء كان العمل له او لغيره . بل ان كان لغيره فينبغي ان يكون الاحسان فيه اشد فان اهمل فهو غاش خائن وان اتقن فهو ممدوح في الدنيا والاخرة

هذا ما اخترت ذكره من جوامع كلمه وحكمه والحاقه بسيرته صلى الله عليه وسلم وربما اوردت بعض الاحاديث الضعيفة لا جهلاً بها ولكني شمت عليها بارقة النبوة . وشممت منها مسك الرسالة . ومع ذلك فهي قليلة جداً . وكلام العلماء في ايراد الضعيف من الاحاديث في فضائل الاعمال والمواعظ مشهور معروف